7me Année No. 302

Lundi - 17 - 4 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

صـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٣٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

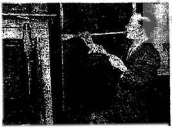
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٠٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ صفر سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٧ ابريل سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهرس

هل نقوم القيامة !

نفخة الصــــور ...



بعد ثلاثة وثلاثين قرناً من تاريخ مصر الخالدة نفخ جندى فى بوق[1] فرعونها الشاب توت عنخ آمون، فدوّى صوته الندىُّ فى أرجاء العالم وهو يمور موران البحر، ويفور فوران البركان. وتتدافع شعوبه المكروبة المكروبة عمياناً وصُماً إلى مهاوى الموت ! فليت شعرى ما الذى أخطر ببال المتحف والإذاعة هذا الخاطر الغريب فى هذا الحين وفى هذه الحالة ؟ أهو القدَر الإلهى الراصد الذى يقول كلمته فى كل

---

(١) من مخلفات الملك توت عنخ آمون التى كشفت فى سنة ١٩٢٢ بوقان أحدهما للحرب وهو من الفضة ، والآخر للسلم وهو من النحاس . وقد عن لادارتى المتحف المصري ومحطة الاذاعة اللاسلكية أن ينفخ فيهما أحد الجنود النداء الحربى ليذاع على العالم . وقد تم ذلك فى الساعة السابعة والثلث من مساء يوم الجمعة الماضى فكان حادثا فذا فى التاريخ الانسانى كله

حادث ، ويعلن مشيئته فى كل مشكل ؟ أم هو الروح المصرى الخالد الذى بدأ حضارة العالم، وأنشأ معرفة الناس، ولا يزال يوحى بكل فكر ويشارك فى كل أمر ؟

من كان يقع فى حسبانه من فراعين النيل ودهاقين الوادى أن بوقهم الذى كان يدعو إلى الطعن والضرب ، ويقضى فى السلام والحرب ، يحتفظ به الدهر الطحون ثلاثة آلاف وثلثمائة عام ليُبلغ به اليوم أذن الدنيا جماء صوتَ مصر الذى لا يخفت ، ومجد مصر الذى لا يبيد ؟

ما كان أروع هذا الصوت الفضى القوى وهو ينبعث من جوف الماضى العميق السحيق، وينتشر جهيراً جباراً على أمواج الأثير، فينصت الفلك، ويدهش العالم، ويتذكر التاريخ، ويغوص الخيال الشاعر فى خِضَم القرون ويطفو !

* * *

أيها النافخ فى صور إسرافيل ! أهى الراجفة (1) وانصعاق الأحياء ، وانشقاق السماء ، وزلزلة الأرضين ، واندكاك الجبال ، وفناء العالم؟ أم هى الرادفة وانبعاث الأموات ، وميزان الحسنات والسيئات ، ثم استئناف الحياة الباقية الصافية التى تموت فيها المطامع، وتفنى الأحقاد، ويعيش بنو آدم فى ظلال الله إخواناً على سرر الحب ، وضيفاناً على موائد الجنة ؟

لتكن نفختك يا إسرافيل ما شاء الله أن تكون ، فإنها لمصر القاعدة المتخلفة صيحة نشور ونذير أهبة ! فقد درجت على هامها القرونُ وهى مطمئنة إلى الخمول ، راضية بالعجز ، يستغل خيرها الواغل ، ويستقل بحمايتها المغير ، حتى خشن على أيدينا السيف ، وثقل على ظهورنا العتاد ، وجثم على رجولتنا الجبن ، وأصبحنا إذا طلبتنا القرعة نهرب ، وإذا انتخبتنا الجندية نبكى ، وإذا سمعنا بالحرب من بعيد يضطرب البال من الهم، ويطير الفؤاد من الفزع . ثم كان من أثر هذه الحياة السلمية الوادعة ، وهذه التربية المدرسية البليدة ، أن فشا بيننا داء العجائز وهو الكلام ، وداء الضرائر وهو الحسد ؛ فأفواهنا الثرثارة لا تفتر عن قرض الأعراض والعلائق ، وعيوننا الطامحة لا تغمض عن حسد الأرزاق والمواهب، حتى اتسعت الأحداق وطالت الألسن، بمقدار ما ضاقت الأخلاق وقصرت الأذرع . فلو كنا نشأنا على الجندية ، وتمرسنا بالحروب، وارتضنا فى الشدائد، لكثر فينا رجال القيادة والنظام ، وقل بيننا أهل السياسة والكلام ، وكان عندنا من الشركات والجمعيات والمصانع والمجامع أضعاف ما عندنا من المؤتمرات والأحزاب والمقاهى والصحف ...

* * *

هذه هى القارعة التى تهتك حجب الأسماع وأغشية الأبصار وغُلف الأفئدة. فاليوم لا كسل ولا جدل ولا اتكال ولا استكانة . لقد سلكنا متن الحياة بعد أن كنا نسير على الهامش ، وخضنا عباب الأمر بعد أن كنا نعيش على الشاطئ ، وحملنا تكاليف مصر العزيزة بعد أن كنا نلقيها من الخور والهُون على الأكتاف الغريبة كتفاً بعد كتف

لشدَّ ما يشرق فى تاريخ النيل ذلك اليوم الذى يزحم فيه البحرَ والبر والجو أسطوله الماخر وأسطوله الطائر وجيشه الجرار ، ثم يستقتل فى سبيله بنوه البواسل اليامين فى الحصون والخطوط والخنادق ، ليكون لثراه الخصيب من دمائهم رِى، ومن أشلاء عدوهم سماد ، فيخصب فيه جدب العقول ، ويزكو به غراس البطولة !

* * *

مرحباً بالنار إذا كانت تذيب غش الأخلاق وزيف العزائم ! وأهلاً بالحديد إذا كان يشذب ميت الأصول وذاوى الأفرع ! ونعِمَّا يبتلينا به الله إذا كان من ورائه جمعة من هذه الفرقة ، وحياة من هذا الموت !

لقد استنفرنا الماضى ببوق فرعون ، واستفزنا الحاضر بوعيد نيرون ، فلم يبق إلا أن نميط اللثام عن الوجه الحر ، وننفض الغبار عن المعدن الكريم ، ثم نولى وجوهنا شطر الحدود المقدسة ، ونقوم للوطن كما نقوم لله، صفاً صفاً ، طائعين خاشعين، متحدين مستعدين، ننتظر نداء العلَم الموموق وأمر القائد الأعظم !

احمد حسن الزيات

(1) الراجفة هى النفخة الأولى فى الصور وهى للعدم ، والرادفة هى النفخة الثانية فيه وهى للوجود . قال الله تعالى : « يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة »

الطفل وحقيقة الانسان

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

زارتني ، ذات يوم ، سيدة ، ومعها طفلة تناهز الرابعة ، فسقيت السيدة القهوة المرة التي تحبها ، وحرت في الطفلة : ماذا أسقيها أو أطعمها ، أو بماذا ألاعبها ، وليس في مكتبي ما يصلح لها ؟ ثم خطر لي أن أبعث بالخادم ليشترى لها « شكولاتة » . فقالت السيدة : « إنك تدللها وتفسدها » . قلت : « دعيها تتدلل وتفسد — على قولك — فلن ترى أرغد من أيامها هذه » . قالت : « وستحبك بالشكولاتة ! » ، وضحكت . قلت : « هل تعلمين أن كل حب لإنسان آخر هو من حب النفس ؟ » . ولم أطل في هذا المعنى فإني أعرفها تكره الفلسفة وإن كانت ذكية لبيبة .

وجاءت الشكولاتة فأخذتها الطفلة من الخادم وابتسمت له مسرورة . فقالت لها السيدة — وأشارت إليّ — : « إنه أولى بابتسامك ، فقومى إليه واشكريه بقبلة » . فانحدرت عن مقعدها خفيفة ضاحكة ولثمت خدى . وعادت إلى الشكولاتة ، وهمت أن تنزع عن بعضها الورق وتأكل ؛ فنهتها السيدة عن ذلك وقالت لى إنها ستدخل طعاماً على طعام ، وليس هذا بمحمود أو مأمون . ولفت لهـا الشكولاتة في ورقة وناولتها إياها وربتت لها كتفها وقالت : « أبقيها معك إلى ما بعد » . فأطاعت الطفلة ووضعت اللفافة في حجرها ، وجعلت تقلبها وتعبث بها ، وذهبنا نحن نتكلم ، وإذا بالسيدة تغمزنى بعينها مشيرة إلى طفلتها ، فنظرت فألفيتها قد فكت الورقة وأقبلت على قطع الشكولاتة تحركها بأصبعها ، فهززت رأسي مستفسراً . فقالت السيدة : « إنها تعدها » . قلت : « لعله يفرحها أن تعرف عددها » . قالت : « لا » وهزت رأسها : « ما أظن بها إلا أنها تعدها للمرة الثانية » . قلت : « ماذا تعنين ؟ » . قالت : « أعنى أن أكبر الظن أنها عدتها حين أخذتها . ثم أخذتها أنا منها ولففتها في هذه الورقة ، فهي تعدها مرة ثانية لترى أنقصت أم بقيت كما كانت » . قلت : « اتق الله ! » . قالت : « لك رأيك ، ولكنها بنتى فليس تخفى عليّ من أمورها خافية » .

وصارت الطفلة تعرفني بعـد ذلك « بيابا شكولاتة » وهي خليقة أن تعرف اسمى ، وأن تستطيع النطق به ، فما هو بأثقل أو أصعب من لفظ الشكولاتة ، ولكن الشكولاتة حلاوتها الأثيرة ، وأنا أتحفها بها كلما لقيتها ، فهي تهمل اسمى وتطلق عليّ ما تحب ، ولو أهملت أن أقدم لها الشكولاتة ، أو قصرت في هذا الواجب ، لزهدت في لقائى وانصرفت عن ذكرى ، وتركت حث أمها على زيارتي .

وليست هذه الطفلة بالشاذة ، فإن كل طفل على غرارها ، حتى ولديّ أراهما أحفى بأمهما منهما بي ، لأنها لا تنسى أن تزودهما بما يحبان ، وإن كنت أنا المتعب المكدود والذى لا يزال يسعى ويشقى ليسعدا .

وأحسب أن الإنسان يبدو على حقيقته في طفولته ، أي قبل أن يصبح إنساناً مصقولاً منجوراً أو مهذباً كما نقول ، والطفل أثرة مجسدة ، يحب ويكره ، ويقبل ويدبر ، تبعاً لما يلقى منك . وقد يكون أبوه أحنى عليه ، وأعمق حباً له ، وأعظم شغلاناً به ، ولكنه لا يلاعبه ، ولا يعنى بأن يحشو له جيوبه باللطائف المشتهاة ، ولا يجيئه كل بضعة أيام بلعبة ، فلا يعبأ به الطفل أو يحفل إليه باله ، على حين تراه يتعلق بأهداب صاحب لأبيه لأنه لا ينسى حين يجيء في زيارة ، أن يحمل لهذا الطفل ما يسره ، أو لأنه يشغل نفسه معه بضع دقائق بالهذر الفارغ .

وكان صديق لى يقول : « إنك مسيء الظن بالإنسان » فكنت أبتسم ولا أجيب ، وأنتقل به إلى موضوع آخر استثقالاً لهذا البحث الذى لا يطيب للنفس في كل وقت ، حتى لفتتني تلك السيدة الذكية إلى المظهر الحقيقي للانسان ، فدرسته في أبنائي ، وانتهيت إلى أن كل ما في الإنسان من خير وفضيلة اكتساب وليس بطباع فيه ؛ والطفل — قبل أن نعلمه خلاف ذلك — لا يعرف إلا نفسه ، ولا فرق بينه وبين الوحش في الفلاة أو الغابة . وعجيب أن ينسى الإنسان أنه حيوان !؟! فهو يضرب أخاه ، ويمزق له ثيابه ، ويريق الحبر على أوراقه أو كتبه ، ويحطم له لعبه ، أو يتلفها ، ويغضب أو يستاء إذا رآه يلبس الجديد قبله أو دونه ، ويعذب العصافير والقطط ، ويذوى الورود والأزهار ، ولا يقف في العبث والإتلاف عند حد ؛ ولا يدركه عطف على أحد ، ولا يشعر برقة لإنسان

أوحيوان . ولسنا نحن الكبار خيراً منه ، وإنا لأحسن ضبطاً لأنفسنا ، وكبحاً لأهوائها ونزعاتها ، ولكنا نحتاج إلى الضبط والكبح لأن النزعات موجودة تلج بنا وتدفعنا ؛ ولو أمنا العاقبة لأطعنا أهواء نفوسنا وأملينا لها فيها . ولو جمحت بنا لمانفعتنا اللجم والأعنة التي اعتدنا في حالة الاتزان أن نصدها بها عما نهم به . ونحن في كل حال نراقب ماهو أوفق لنا وأصلح ، والأمر في الأطفال أوضح وأبين ، لأن اللجم الكابحة ليست هناك ، أو لأن التدريب عليها ناقص ، ونمو العقل مع التجربة يساعد على حسن استخدام اللجام ، ورياضة النفس على طاعته

ولست أقول إن الإنسان شرير بطبيعته ، فليست المسألة مسألة خير أو شر ، وإنما هي طباع فيه وفطرة يبنى عليها ، والطباع لا خير ولا شر ، وإنما هي طباع . وقد احتاج الإنسان إلى مقدار من النظام لما احتاج أن يعيش في جماعته ، والجماعة لا تصلح بالانطلاق مع السجية ، وإنما تصلح بإقامة حدود

وعلى أن روح الجماعة ليس فيها لا خير ولا رحمة ولا رفق ولا شيء مما يجرى هذا المجرى ، والشر الذي يذعر الفردَ مجرد التفكير في ارتكابه تقدم عليه الجماعة وهي ترقص وتباهى ، وهذا ما يحدث في الثورات . وقد رأيت بعيني جماعة حانقة في إبان الثورة المصرية تمزق رجلاً بأيديها فوليت هارباً من هذا المنظر . وما أظن أن أقسى فرد يستطيع أن يفعل ذلك وهو وحده . وأحسب أن الذي يرد الجماعة إلى الطبيعة الحيوانية هو أن الطباع الحيوانية المشتركة ــ وهي واحدة ــ تتغلب على المزايا المكتسبة التي نزعمها صفات إنسانية ــ وهي متفاوتة

ومازالت القاعدة الحسابية هي الصحيحة ، أعني أن الذي يقبل الجمع هو المتشابه لا المختلف ؛ ولست تستطيع أن تقول إن عندك أربع تفاحات وأنت تعني أن عندك تفاحتين وبرتقالتين . ومن هنا ذهب ماكس نوردو بحق إلى أن برلماناً من أعاظم الرجال مثل جوته وشكسبير ونابليون الخ لا يكون خيراً من برلمان من الأوساط العاديين ؛ لأن برلماناً كهذا يكون مؤلفاً من مائة صفة مشتركة تتغلب على كل مزية مفردة لكل واحد من هؤلاء العظماء

ولست أذم أو أمدح ، وإنما أصف الواقع ، والواقع أيضاً أن المدنية معناها التنظيم ، أي الكبح والصقل ودفع الحياة في المجاري التي هي أصلح للجماعة وأجلب لخيرها

ابرهيم عبد القادر المازني

من برجنا العاجي

طالما صحت قائلاً : إن الدولة لا تنظر إلى الأدب بعين الجد ، بل إنه عندها شيء وهمي لا وجود له ولا حساب . وأقول اليوم إن الأدباء أنفسهم لا يريدون أن يحملوا الدولة على الإيمان بحقيقة الأدب . بل إن الأدباء وقد أنكرتهم الدولة وأنكرت بضاعتهم لم يفعلوا شيئاً ولم يبدوا حراكا . بل إن الأمر قد بلغ من السوء حداً رأى فيه الأدباء نتاج أذهانهم يسقط في التراب كما تسقط ثمار الشجرة الناضجة ، فلا يتحركون ولا يصيحون في الناس : أن أقبلوا واجمعوا هذه الفاكهة وانتفعوا بها واطلبوا المزيد حتى تنشط الشجرة للأثمار ولا يجف ماؤها من الترك والإهمال . من العجب أن يلحظ الأدباء أن ثمار مواهبهم لا تصل إلى أيد كثيرة فلا يجتمعون ليبحثوا هذه المشكلة . ومن العجب أنهم يرون أن زبدة جهودهم تتلقفها أيدي الوسطاء من التجار الذين يتربصون بهم كما تتربص جوارح الطير بصغار العصافير فلا يحاولون المداولة فيما بينهم للخلاص من هذا المصير . إن انعدام روح النظام بين الأدباء وتفرق شملهم وانصرافهم عن النظر فيما يربطهم جميعاً من مصالح وما يعنيهم جميعاً من مسائل قد فوت عليهم النفع المادي والأدبي ، وجعلهم فئة لا خطر لها ولا وزن في نظر الدولة ، ولقمة باردة سائغة في فم التجار والوسطاء . تلك حال الناضجين المعروفين من أدبائنا ، أولئك الذين يتخذهم الناشئون من الأدباء مطمحاً لأنظارهم ، ويرون فيهم حلماً ذهبياً جميلاً ، ويتحرقون عجلة وشوقاً لبلوغ مراتبهم ، ويتوسلون إليهم أن يأخذوا بأيديهم ويقودوهم في هذا الطريق . . .

واجب الأمانة يدعوني أن أصارح الناشئين : إياكم أن تعقدوا الآمال الكبار على الأدب في بلادنا اليوم ، إذا استمر الحال على ما ترون . فما أرض الأدب الآن سوى مستنقع مهمل ، حرام أن تلقى فيه بذور . وحسبكم تلك الزهرات القليلة الوحشية التي نبتت من تلقاء نفسها على حواشيه فلم يأبه لها أحد ولم يعن بتعهدها وريها إنسان !

توفيق الحكيم

البحترى أمير الصناعة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

وللبحترى فى ثنايا أبواب شعره أبيات كثيرة فى الحكم والأمثال ، بعضها يدل على فطنة لبعض نواحى الحياة والنفس ، وبعضها معان مطروقة كساها ثوباً قشيباً . فمن حكمه وأمثاله قوله:

أراقب صول الوغد حين يهزه اقـ ... تدار وصول الحر حين يضام

وقوله :

هو الحظ ينقص مقداره ... لمن وزن الحظ أو كاله

وقوله :

لولا التباين فى الطبائع لم يقم ... بنيان هذا العالم المجبول

وقوله :

ولست ترى عود القتادة خائفاً ... سموم الرياح الآخذات من الرند

وقوله :

واليأس إحدى الراحتين ولن ترى ... تعباً كظن الخائب المكدود

وقوله :

كالكوكب الدرى أخلص ضوءه ... حلك الدجا حتى تألق وانجلى

وقوله :

تناس ذنوب قومك إن حفظ الـ ... ذنوب إذا قدمن من الذنوب

وقوله :

خلت جهلاً أن الشباب على طو ... ل الليالى ذخيرة ليس تفنى

وقوله :

أدع الصاحب لا أعذله ... لا يسمى بعقوق فيعق

وقوله :

وقديماً تداول العسر واليسـ ... ـر وكل قذى على الريح يطفو

وقوله :

صعوبة الرزء تلقى فى توقعه ... مستقبلاً وانقضاء الرزء أن يقعا

وقوله :

أغشى الخطوب فإما جئن مأربتى ... فيما أسير أو أحكمن تأديبى

إن تلتمس تمر أخلاف الأمور وإن ... تلبث مع الدهر تسمع بالأعاجيب

وقوله :

وكأنما شرف الشريف إذا انتمى ... جرم جناه على الوضيع الأصغر

وقوله :

إذا محاسنى اللاتى أدل بها ... كانت ذنوبى فقل لى كيف أعتذر

وقوله :

ما أضعف الإنسان لولا همة ... فى نبله أو قوة فى لبه

وقوله :

والشيء تمنعه تكون بفوته ... أجدى من الشيء الذى تعطاه

وقوله فى التأسى بمصارع الموتى :

إذا شئت أن تستصغر الخطب فالتفت ... إلى سلف بالقاع أهمل نائمه

ومثل هذا كثير فى شعره .

وعندى أن غزل البحترى فى مجموعه أرق وأحلى وأكثر نصيباً من الوجدان الفنى من غزل أبى تمام . فمن قصائد غزله المشهورة قصيدته التى يقول فيها :

تمشى فتحكم فى القلوب بدلها ... وتميس فى ظل الشباب وتخطر

وقصيدته التى يقول فيها :

ذو فنون يريك فى كل يوم ... خلقا من جفائه مستجدا

أغتدى راضيا وقد بت غضبا ... ن وأمسى مولى وأصبح عبدا

وقصيدته التى يقول فيها :

أيها العاتب الذى ليس يرضى ... نم هنيئاً فلست أطعم غمضا

وهى رقيقة ومشهورة . ومن بديع غزله قصيدته التى يقول فيها : « ردى على المشتاق بعض رقاده » والقصيدة التى يقول فيها :

دنت عند الوداع لوشك بين ... دنو الشمس تجنح للأصيل

وفيها يقول :

وذكرنيك والذكرى عناء ... مشابه فيك بينة الشكول

نسيم الروض فى ريح شمال ... وصوب المزن فى راح شمول

والتى يقول فيها :

وجدت نفسك من نفسى بمنزلة ... هى المصافاة بين الماء والراح

والتى يقول فيها :

وهجر القرب منها كان أشهى ... إلى المشتاق من وصل البعاد

والتى يقول فيها : « منى وصل ومنك هجر » والتى يقول فيها :

بات أحلى لدى من سنة النو ... م وأشهى من مفرحات الأمانى

والتى يقول فيها :

إذا ما الكرى أهدى إلى خياله ... شفى قربه التبريح أو نقع الصدى

والتى يقول فيها :

وفيهن مشغول به الطرف هارب ... بعينيه من لحظ المحب المخالس

وهى ملاحظة فنية جميلة . والتى يقول فيها :

لم يُروَ من ماء الشباب ولا انجلت ... ذهبية الصبوات عن أيامه

وفيها يقول :

أتريك أحلام الكرى ذا لوعة ... كلف الضلوع يراك فى أحلامه

والتى يقول فيها :

أأنت ديار الحى أيتها الربى اﻟ ... أنيقة أم دار المها والنعائم
وأيامنا فيك اللواتى تصرمت ... مع الوصل أم أضغاث أحلام نائم
لعل الليالى يكتسين بشاشة ... فيجمعن من شمل النوى المتقادم

والبحترى شاعر وصاف بما له من شهوة تذوق المرئيات بجمال فنه ، فإن الفنان يتذوق مناظر الطبيعة والمرئيات عموماً كما يتذوق الطعام من له ذوق خاص فى الطعام والشراب ؛ وقد لا يكون شره النظر أو قد يكون، كما أن الذى له ذوق خاص فى الطعام والشراب قد يكون شره البطن وقد لا يكون

ومن أجل شهوة تذوق الأمور بفنه أشك فى أن البحترى قد تعمد أخذ كل ما أخذ من المعانى ، فقد تكون شهوة التذوق بالعاطفة الفنية هى التى ساقته إلى هذه المعانى سواء أكان قد اطلع عليها أم لم يطلع وهى على أى حال مفردات . ومن قصائده المشهورة فى الوصف قصيدة وصف آثار الفرس الفنية التى يقول فى أولها (صنت نفسى عما يدنس نفسى) وقصيدته فى وصف بركة المتوكل التى يقول فيها :

كأنما الفضة البيضاء سائلة ... من السبائك تجرى فى مجاريها
إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا ... مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحياناً يضاحكها ... وريق الغيث أحياناً يباكيها
إذا النجوم تراءت فى جوانبها ... ليلا حسبت سماء ركبت فيها

ومن أوصافه المعروفة وصفه الشقائق فى الأبيات التى يقول فيها : (سقى الغيث أكناف الحمى من محلة) وقصيدته التى يصف فيها الربيع وآثاره وفيها يقول :

وقد نبه النوروز فى غلس الدجا ... أوائل ورد كن بالأمس نوما
يفتقها برد الندى فكأنه ... يبث حديثاً كان قبل مكتما

وله قصيدته البائية المشهورة فى وصف صيد الفتح بن خاقان للأسد ، والدالية التى فيها وصف لقائه (أى البحترى) الذئب فى البيداء ، ويعاود وصف الربيع كما فعل فى قصيدته الرائية التى يقول فيها : (ألم تر تغليس الربيع المبكر) واليمية فى وصف قصرى المتوكل الصبيح والمليح وهى التى يقول فيها :

حلل من منازل الملك كالأنجم يلمعن فى سواد الظلام

وقصيدته فى وصف البيان وهى التى يقول فيها :

لتفننت فى الكتابة حتى ... عطل الناس فن عبد الحميد[1]

وهى مشهورة . وله أوصاف أخرى منتشرة فى قصائده من وصف للنبات والطبيعة أو للحروب وآثارها مثل القصيدة الفريدة التى يقول فيها :

أسيت لأخوالى ربيعة إذ عفت ... مصايفها منها وأقوت ربوعها

ومراثى البحترى مراثى صنعة تكاد تغطى على الصنعة لأن العاطفة الفنية فيها تغنى على العاطفة الحقيقية أو قد تكون مقرونة بشىء منها ، وقد ظفر بنو حميد بمراث بلغت غاية الروعة الفنية من شعر أبى تمام ومن شعر البحترى . ولعل أبدع قصائده فيهم قصيدته التى يقول فى مطلعها :

أقصر حميد لا عزاء لمغرم
ولا قصر عن دمع وإن كان من دم
أفى كل عام لا تزال مروعا ... بفذ نجيع تارة أو بتوأم

إلى أن يقول :

فصرت كمشر خلفته فراخه
بعلياء فرع الأثلة المتهشم

ثم يقول :

سلام على تلك الخلائق إنها ... مسلمة من كل عار ومأثم

ومن المختار له فى الرثاء قصيدته فى سليمان بن وهب التى يقول فيها :

أأخى نهنه دمعك المسفوكا ... إن الحوادث ينصرمن وشيكا

وقصيدته التى يقول فيها (ابنى عبيد شد ما احترقت لكم) والتى يقول فيها (جحدنا سهمة الحدثان فينا) . ومن أشهر قصائده فى الرثاء رثاء المتوكل وقد قيل إن ابنه المنتصر ولى العهد دس له من اغتاله وإلى ذلك يشير البحترى فى قوله : —

أكان ولى العهد أضمر غدرة
فمن عجب أن ولى الأمر غادره

وهو لم يتمتع بالخلافة إلا بضعة أشهر . ويقال إن ضميره أفسد عليه تلك الأشهر من حياته . ويخيل إلى أن البحترى لم يعلن هذه

(1) فى قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات

القصيدة إلا بعد وفاة المنتصر إلا أن يكون قد تنبأ بها وأجاب الله دعوته فى قوله :

فلا مُـلِّىَ البـاقى تراثَ الذى مضى
ولا حملتْ ذاك الدعاء منـــابرُه

وفيها يمدح المعتز بن المتوكل فيقول(١) :

وإنى لأرجو أن تُرَدَّ أمورُكم   إلى خلَفٍ من شخصه لا يغادرُه
مُقلَّب آراء تُخــافُ أناته
إذا الأخرق العجلان خيفت بوادرُه

وإنى أشك فى صدق قوله وأرى أنه من شواهد ما قدمت من اختلاط الخيال بالعاطفة :

أُدافعُ عنـــه باليدين ولم يكن
ليثنى الأعادى أعزلُ الليـل حاسرُه
ولو كان سيفى ساعة الفتك فى يدى
درى الفاتك العجلان كيف أساوره

إذ أنه لو فعل كما قال إنه فعل لقتـله الفاتكون . ولـكن المشهود فى القصيدة روعة الصنعة ونخامتها لا عمق العاطفة . والحق أن البحترى إذا ملك صناعته ولم يتكلفها أتى بها وهى فى بهجتها وحلاوتها حقيقة بالمدح الذى مدح به البحترى منزلة ممدوحه فى قوله :

فَنيت أحاديث النفوس بذكرها   وأفاق كلُّ منافس وحسود

وأصدق قول يقال فى البحترى وأبى تمام هو ما قاله البحترى نفسه إذ قال إن جيد أبى تمام خير من جيده ، ورديء أبى تمام شر من رديئه . ومثل هذا القول يصح أن يقال أيضاً فى البحترى وابن الرومى ، ولا نعنى بالجودة الصناعة فحسب بل كل ما ينهض به الشعر من ميزات . وللبحترى قصائد فى العتاب هى من أجلّ ما كتب فى اللغة العربية فى هذا الباب ولا سيما عتابه للفتح بن خاقان فى قصيدته البائية التى يقول فيها :

ولو لم تكن ساخطا لم أكن   أذم الزمان وأشكو الخطوبا

والميمية التى يقول فيها :

أعيذك أن أخشاك من غير حادث   تبيّن أو جرم إليك تقدّما

وفى صنعة عتابه كما فى صنعة مدحه حلاوة وسهولة المتناول ، وليس فيها اللجاجة الفكرية التى بذلها ابن الرومى فى قصيدته فى العتاب التى يقول فيها (يا أخى أين ريع ذاك اللقاء) . على أن هذه القصيدة لابن الرومى لا تمثل إلا ناحية واحدة من نواحى مقدرته فى العتاب فله نواح أخرى منها ناحية العتاب الممزوج بالهجاء، ومنها ناحية العتاب الذى فيه خضوع للمعاتب. وابن الرومى أوسع مقدرة من البحترى وأكثر نصيباً من ذخائر اللب وإن كان البحترى أوفر نصيباً من بهجة الصنعة .

وقد جاء فى كتاب الأغانى وصف إنشاد البحترى لشعره : فقال المؤلف إنه كان يتشادق فى إنشاده ، ويتزاور ، ويتمايل ، ويلوح بكمه ، ويتقدم ويتأخر ، ومعنى هذا الوصف أنه كان يُمَثِّل كما يصنع الممثل على المسرح، وإنى أميل إلى تصديق هذه الرواية إذ أنها تؤيد ما ذهبت إليه من أن البحترى كانت عنده صفة يكثر ظهورها فى بعض الممثلين ، وهى اختلاط الأحاسيس التى يمثلونها بحقائق الحياة حتى يصعب التمييز بينهما ، وقد ضربت من أمثال ذلك مثلاً من غزله ومن رثائه للمتوكل . ولم يكتف البحترى فى إلقائه بطريقة الممثلين فى الإنشاد ، بل كان ينظر إلى الحاضرين ويطلب منهم الاستحسان ويلومهم إذا لم يظهروا الإعجاب والاستحسان ؛ وطلبُ الاستحسان من المشاهدين والحرص عليه والانتشاء به من صفات الممثلين أيضاً . وقد ضجر منه المتوكل يوماً لمغالاته فى هذه الأعمال . فأغرى به شاعراً صغيراً أعبث به فى شعره . ولو جاز أن نتمنى سماع إنشاد البحترى لشعره لتمنينا أن نسمعه ينشد بهذه الطريقة التمثيلية قطعة من شعره تساعد على إظهار مقدرة الممثل مثل قوله فى قتاله للذئب :

عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته   فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
فأوجرته خرقاء تحسب ريشها   على كوكب ينقض والليل مسود
فما ازداد إلا جرأة وصرامة   وأيقنت أن الأمر منه هو الجد
فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها   بحيث يكون اللب والرعب والحقد
نخرّ وقد أوردته منهل الردى   على ظمأ لو أنه عذب الوِرد
ونلت خسيساً منه ثم تركته   وأقلعتُ عنه وهو منعفر فرد

ولا غرابة أن يكون عند الشاعر الذى عماده الصناعة اللفظية صفة الممثل الذى ينتشى بما يقول حتى يخلق له القول عاطفة فنية لا تكاد تميز من الأحاسيس الناشئة من حوادث الحياة فى نفوس بعض ذوى الفنون . وفى الأخبار التى وردت عن البحترى نرى أنه كان يمدح شاعرين هما : أبو تمام ، والعباس بن الأحنف . وفى شعر البحترى أثر محاكاته للأول فى الصنعة البيانية ومعانيها وللثانى فى بعض الغزل من شعره

عبد الرحمن شكرى

(١) بعد المنتصر ولى القتلة المستعين بالله وكانت خلافته مضطربة وكان للمعتز حزب قوى بالرغم من أنه كان محجوزاً ومالبث حزبه أن تغلب واستخدم الحرس التركى لخلع المستعين وتولية المعتز الذي انتقض عليه الجند أيضا

أعلام الأدب

درامات سوفوكليس

للأستاذ دريني خشبة

حدّد سوفوكليس الفرق بينه وبين إسخيلوس ، ثم بينه وبين يوربيبدز فقال :

أنا أصور البشر كما كان ينبغي أن يكونوا
ويصورهم يوربيبدز كما هم

أما إسخيلوس فقد كان يوحى إليه بالحق فينطق به دون أن يعرف ما هو

وذلك من سوفوكليس تحديد جميل ينتفع به مؤرخو الأدب الكلاسيكي ، لأن سوفوكليس كان حقيقةً يلتزم في جميع دراماته هذا التسامي نحو مَثَله الأعلى الذي كان يجهد ألا يضحى به ولو عارض الأوضاع ونافى التقاليد وثار بالشرائع

لقد رأى إسخيلوس يقسو على الفتى أورست الذي قتل أمه لأنها قتلت أباه، فأسلمه لطائف من الجنون ، وسلط عليه ربات العذاب تُشقيه وتقص آثاره وتسد عليه المسالك . لأن جريمة قتل الوالدين هي أشنع الجرائم فيما تواضع عليه الدين اليوناني الأسطوري من غير نظر إلى ما في ذلك القتل من حق أو غيره ... ومع أن إسخيلوس كان لا يرى أن يُعد أورست مجرماً بدليل ما ذكره على لسان أبولو أمام محكمة مينرفا إلا أنه أجرى درامته في حدود المتقدات اليونانية فجعل ربات العذاب تلاحق أورست كما تلاحق المجرمين لتأخذه بما جنت يداه . ثم توسل إسخيلوس بهذه الهيئة القضائية التي كانت مينرفا بمقام الرئيس فيها ، كما كان أبوللو بمقام المحامي ، وكما كانت ربات العذاب بمقام المدعي في حين كان أورست في مقام المتهم ... فلما رأت مينرفا أخذ أصوات الحضور بوصف كونهم محلفين ، ثم لما تساوت الأصوات ضد أورست ثم له ، عمد إسخيلوس إلى مينرفا فجعلها تنحاز إلى جانب أورست ، وبالأحرى إلى فكرة إسخيلوس في عدم حسبان الفتى مجرماً لأنه قتل أمه التي قتلت هي أيضاً أباه ، لأنه ضحّي بابنتها إفجنيا كما تقدم ذكر ذلك جميعاً

رأى سوفوكليس نده القوى يتناول المأساة على هذا النحو فترك سبيله وسلك سبيلاً آخر . . . إنه لم يُسلم أورست لطائف من الجنون ولم يُلاحقه بربات العذاب كما فعل إسخيلوس ، بل هو قد أهمل الشريعة الأسطورية كلها وأظهر أورست في ثوب البطل الذي يرى أن أمه قتلت أباه بغير الحق وصَبَت قبل ذلك إلى عشيق مجرم من أعداء أسرته وآذت أبناءه وأهدرت كرامتهم فهي لذلك تستأهل أن تقتل ، بل يجب أن تقتل بيد ابنها ، فإذا هم ابنها بقتلها وتوسلت إليه بدموعها مرة وتديبها مرة أخرى خشيت (إلكترا) — وهذا هو اسم الدرامة — أن يضعف أخوها أو أن يستخذى فحضته على قتل أمه — وأمها — « لأنها لم ترحم أحداً من قبل ! »

وهكذا صور سوفوكليس الناس كما ينبغي أن يكونوا ، ولم يلف طويلاً كما صنع إسخيلوس ... أما كيف إتقى ثورة الناس لإهماله شريعتهم الأسطورية فقد كانت حجته أن في الأساطير ما يذكر أن ديانا قد أنقذت الفتاة إفجنيا من الذبح وذلك بفدائها بذبح عظيم على نحو ما نعرف من قصة إبراهيم وولده إسماعيل ... لذلك كان حنق كليتمنسترا في غير موضعه ، وكان باطلاً كل ما كانت تبرر به مسلكها نحو زوجها ، وكل ما ترتب على هذا المسلك من نتائج

وليس من عيب في مأساة إلكترا إلا ما أقحمه فيها سوفوكليس على لسان الرسول من وصف الألعاب البيثية وصفاً طويلاً يُفضي إلى الإملال .

٢ — أجاكس[1] :

قد تكون مأساة أجاكس أقدم ما وصلنا من درامات سوفوكليس سليما كاملا . . . وهي مثل إلكترا يصادفك فيها العجب المطرب من الفكر الرائع والفن البارع ، كما يصادفك المشهد السمج والحوار الثقيل خصوصاً إذا كان ذلك المشهد أو هذا الحوار فيما يتعلق بتقليد يوناني تطاول عليه العهد فلم يعد سائغاً عندنا اليوم

(١) هكذا ينطق اسم هذا البطل في الألياذة والأوديسة وجميع تراجم سوفوكليس وقد أورده كامبل على أنه (ايّاس) ولم ندر علام اعتمد في إيراده على هذا النحو

بعد مقتل أخيل بطل أبطال اليونانيين اتفقت الآراء على أن تُمنح دروعه وعدته الحربية التى صنعها له فلكان الحداد إله النار لأشجع الأحياء من أبطالهم المحاربين ، وبالرغم من أن أجاكس كان أشجعهم جميعاً فقد رأى القضاة أن يخلعوها على أودسيوس لأنه كان إلى شجاعته أبرع اليونانيين حيلة وأكثرهم حكمة ... وكان ينبغى أن يخضع أجاكس لهذا الحكم ، إلا أنه ثار وتولاه الغضب واعتزم أن يقتل القضاة الظالمة الذين جرحوا كبرياءه بما فضلوا عليه أودسيوس ... لكن أثينا (مينرفا) التى كانت تحابى أودسيوس دائماً ، لم تدعه يفعل ، بل أسلمته لطائف من المس وفورة من الجنون ، فامتشق سيفه وراح يقتل قطعان الشاء والنَّعم وهو يحسب أنه يقتل أعداءه القضاة من قادة الإغريق ... ثم يفيق أجاكس ويعلم ما كان من أمره ، وينظر إلى نفسه فيراه رجلاً لم تعد له كرامة بين عشيرته ، ويرى الجميع يصدون عنه ... فيألم ويضيق بحياته ، ويزيده ألماً ما ظن من حنق أثينا عليه ، وما عرف من تحقيره أَمَتَه الجميلة تكماسا ، فينطلق إلى مكان موحش مهجور عند شاطئ البحر ، ثم يتكئ بصدره على سنان سيفه ، فيسقط على الرمال ويتشحط فى دمه ... ويجتمع القادة حول جثمانه فيختلفون ساعة على دفنه ، لكن أودسيوس ينحى سخيمته ، ثم يتولى الدفاع عن عدوه فى عبارة كلها تمجيد له واعتراف بفضائله ، فلا يسع الباقين وفى مقدمتهم منالوس إلا أن يوافقوا على الدفن وإقام الشعائر الدينية على جدثه ... ويقع ثلث المأساة تقريباً بعد انتحار أجاكس ، وهذا عيب درامى وقع فيه سوفوكليس حين غلبه الشاعر المستكن فيه على الدرامى الذى هو أروع نواحى شخصيته العجيبة العظيمة ... وتمتاز هذه الدرامة بالكلمات الجليلة الخلابة التى كان يتبادلها الزعماء فوق جثمان أجاكس ، ثم موقف أودسيوس منه بعد انتحاره ... ثم هذه النجوى وذاك الوداع الذى فارق بهما أجاكس دنياه وهو يشحذ سيفه وجعلهما آخر أنفاسه ... على أن أثر إسخيلوس واضح جداً فى هذه المأساة التى صور فيها الشاعر صراع الإنسان ضد المقادير وما يلقى فى تمزده على القضاء من شقاء ...

٣ — أنتيجونى (٤٤٥ ق . م)

تعتبر مأساة أنتيجونى أجل فرائد سوفوكلس ، وقد نظمها سنة ٤٤٢ . وتكاد تكون الحلقة الرابعة فى ثلاثية إسخيلوس التى ثالثها (سبعة ضد طيبة) . فقد شهدنا كيف تبارز الشقيقان : إتيوكليز ، وبولينيسز ، وكيف قتل كل منهما الآخر فى مأساة إسخيلوس . هنا ينهض بالملك الطاغية كريون أخو الملك أوديب غير الشقيق ، وتكون مهمته شاقة لأنه يلى أمر مملكة منهوكة جائعة حزبتها الحرب التى أثارها بولينيسز ، والتى استعان فيها على وطنه بجيوش الأجانب مما جعل مواطنيه ينقمون عليه ويبغضونه أشد البغض . من أجل هذا احتفل كريون بجناز إتيوكليز وإقام الشعائر الدينية على جدثه . ثم أمر فى الوقت نفسه أن يترك جثمان بولينيسز منبوذاً بالعراء تنوشه الجوارح ، وتغتذى به بواشق الطير وجياع السباع . لكن الفتاة أنتيجونى تسخر بأوامر الملك وتعرض نفسها للمهالك حيث تذهب إلى جثة أخيها فتحثو عليها التراب وتدفنها وتؤدى لها شعائر الدين التى لا تستقر أرواح الموتى إلا بعد أدائها . هنا تثور ثائرة الملك ، ويأمر بالقبض على الفاعل الذي استهزأ بقوانين الدولة ؛ فلما يعلم أن أنتيجونى هى التى أتت هذا الأمر لا يبالى أن يأمر بدفنها حية بالرغم من أنها مخطوبة لولده هايمون الذى يحبها ويهيم بها ويعبدها عبادة . ويحضر الابن فيجادل أباه فى محبوبته ، بل معبودته . لكن الرجل ينسى كل شىء إلا أنه ملك . فينصرف هايمون بعد أن ينذر أباه أنه لن يراه بعد اليوم ، ويذهب فينتحر عند باب القبو الذى دفنت فيه أنتيجونى . ثم تنتحر أمه عندما يأتيها نعيه ، تلك الأم الرءوم المعذبة التى فقدت ولدها ميجاريوس من قبل ، إذ ضحاه أبوه من أجل صوالح الوطن . ويتلفت كريون فيراه وحيداً فى هذه الحياة العبوس الجائحة ، يبكى قلبه من غير أن ينفعه أنه حفظ سلطان القانون فيتمنى ، ولن ينفعه التمنى ، لو أنه سمع لنصيحة الكاهن الذى محضه النصح أن يترفق بولده حتى لا يصب الويلات على رأسه

لقد كان سوفوكليس فناناً عظيماً فى هذه المأساة الخالدة ... لقد صور فيها شخصيات رائعة لم تظفر بمثلها درامة فى تاريخ المسرح ... فهذه هى أنتيجونى المنيدة الصارمة التى لا تبالى سلطان الملك وجبروت الدولة ، وهذه أختها إسمينه الضعيفة الساذجة المضطربة التى لا تقر أختها على فعلها ، ولا تنكث بها مع ذلك ... وذاك الفتى هايمون الذى يجادل أباه بالحق والمنطق ، فلما يعييه إقناعه يرخص الحياة بعد عروسه ويتخلص منها غير باك عليها ، وهذا

كريون الملك الذي يتغطرس ويغلو في غطرسته، لكنك لا تستطيع مع ذلك إلا أن تعجب به بصفته حاكما ، ولا ينبغي أن يكون الحاكم إلا صلباً لا يبالي غير الحق ولا يتهاون في شأن من شئون السلطان ... ثم أولئك المنشدون (الخورس) الذين يحبذون أنتيجوني حين تصرح أنها لم تأت منكراً حينما دفنت أخاها ، ويرثون لها يعون العاشق حين يحاول إقناع الملك بخطل سياسته فلا يقتنع ، في حين لا ينتقدون الملك حين يشتط في التمسك بأوامره ووجوب معاقبة الخارجين عليها لأنهم يكونون خوارج على الدولة ...

هذا إلى فن سوفوكليس وروعة أسلوبه الذي يقول فيه جيته :

« إن كل شخصيات سوفوكليس قد أوتوا نعمة الفصاحة ، وجمال البيان ، فهم أبداً مداره ألباء يعرفون كيف يسوقون حججهم ويقيمون براهينهم بحيث يكون السامع إليهم في صف المتكلم الأخير منهم دائماً ! »

٤ — **أوديبوس تيرانوس** (أوديب الملك)

عرضنا خلاصة هذه المأساة في إسخيلوس عند ما لخصنا (سبعة ضد طيبة)[1] . ودرامة سوفوكليس تتناول حياة أوديب بعد أن رقى أريكة الملك ثم تتسلسل الحوادث حتى يعرف السر الهائل : أنه قتل أباه وأنه تزوج من أمه وأنه أولدها أبناءه جميعاً .. وأروع مشاهد المأساة ذلك المنظر الذي يعترف فيه كل من أوديب وأمه أحدهما للآخر عن الماضي المؤلم المشجي. ثم تلك النهاية التي تقتل الأم فيها نفسها ، ويسمل الابن عينيه . وبالرغم من روعة المأساة وسموها الفني قد لاحظ عليها النقاد ضعفاً في الحبكة الدرامية ، إذ كيف يسيغ الذوق الدرامي أن يتزوج شاب قوي فتي جميل مثل أوديب امرأة عجوزاً شمطاء تكبره مرتين أو أكثر من مرتين مثل أم هذا الفتى !؟ ليس في تاريخ الجمال اليوناني ما يسيغ هذا الوضع وخصوصاً على المسرح . وقد اعتذر أرسطو عن ذلك بأنه عيب يضيع في روعة حوادث المأساة وجمال تسلسلها وشدة أسرها ... ثم لماذا تنتحر الأم ولا ينتحر أوديب ؟ لماذا يكتفي بأن يسمل عينيه ويعيش بقية حياته أعمى في تيه الغابات ؟ ! يعتذر أرسطو لذلك أيضاً بأن الأسطورة كانت مشهورة قبل سوفوكليس فلم يشأ أن يتناولها بالتبديل والتحوير ، ويُرد على ذلك بأن سوفوكليس كان يصور الناس والحوادث بما كان ينبغي أن يكون فلِمَ لم يطبق قاعدته على مأساة أوديبوس ؟!

٥ — **عذارى تراشينيا**[1]

لا ندري لماذا أطلق سوفوكليس ذاك الاسم على مأساته هذه إلا أن تكون قد حدثت هنالك ... وكان الأحرى أن يسميها ديانيرا أو مقتل هرقل

يعترض طريق هرقل في إحدى مغامراته نهر عظيم لا يستطيع أن يعبره وتكون معه زوجه الجميلة الفتان ديانيرا فيبدو لها سنتور عظيم ويعرض أن يحملهما إلى العدوة الأخرى ... وتركب ديانيرا على ظهر السنتور ويخوض بها في اليم فيحس نحوها بغرام شديد فيعتزم أن يهرب بها من هرقل ، فلما يبلغ العدوة الأخرى ينطلق بها فتصرخ فينتبه هرقل فيرسل أحد سهامه المسمومة بدماء هيدرا فيخترم السنتور ... وقبل أن يموت السنتور يهب ثوبه لديانيرا فتفرح به لأنه كما زعم لها يرد إليها محبة زوجها إذا تحول عنها قلبه بشرط أن يلبسه ... وتحتفظ ديانيرا بالثوب سنين عدداً ثم يمضي هرقل في إحدى مجازفاته فتعلم أنه صبا إلى حبيبة شبابه وخليلته الأولى فتضطرم الغيرة في قلبها وتذكر ثوب السنتور ، ثم ترسل أحد خدمها ليلقى هرقل وليقدم له ثوب السنتور فيلبسه (لأنه يعيد إليه ما خار من قواه في مجازفاته الشاقة) ، وما يكاد هرقل يلبس الثوب حتى يسري سم السنتور في جسمه فيعذبه ويضنيه حتى يموت ... وتعلم ديانيرا بموت زوجها فتعرف حقيقة الثوب وأن السنتور إنما أراد أن ينتقم من هرقل لأنه قتله فتحزن ثم تنتحر

في هذه المأساة والمأساتين التاليتين نلحظ تبدلاً في سوفوكليس ونرى أنه تأثر بالشاعر الشاب يوريبيدز .. ثم نلحظ ضعفاً في الحبكة الدرامية سببه الهرم وتقدم السن، فقد نظمها بعد الثمانين وفي عصر تقلقل وصراع بين أثينا وأسبرطة

(١) ٢٩٩ ص ٦٢٠

(١) جهة في أقصى جنوب تساليا وحاضرتها تراشين (كراسج — ١ ص ٤٤١ — فهي غير تراقيا)

٦ — فيلوكتيتس (٤٠٩ ق. م)

عند ما حضرت الوفاة هرقل منح سهامه المسمومة لرصيفه البطل فيلوكتيتس الذى صحب اليونانيين فى حملتهم على طروادة … لكن أفعى لدغته فى رجله فى جزيرة لمنوس، وأحدثت بها جرحاً بليناً سبب له ألماً شديداً، وخشى المحاربون أن يكون سبباً فى طاعون يذهب بريحهم فتركوا البطل المسكين وحيداً فوق الشاطئ ثم أبحروا إلى طروادة … واستمرت الحرب عشر سنوات سجالاً بين الفريقين، ثم جاءتهم نبوءة أن طروادة لا تسقط إلا إذا حضر الحرب فيلوكتيتس ومعه سهام هرقل. فذهب البطل أودسيوس ومعه البطل نيوبتوليموس بن أخيل إلى حيث ثوى فيلوكتيتس ليحتالا عليه فيحضر معهم إلى طروادة بسهام هرقل … وقد شق على البطل أن يفعل وعز عليه أن يصحب قوماً أهملوه فى كربته وغادروه وراءهم وهو فى شدة الحاجة إلى معونتهم، وكان جرحه ما يزال يؤلمه ويبرح به … لكن شبح هرقل يبدو له فى شبه حلم وينصح له بالذهاب إلى طروادة لنصرة قومه، ولأن هناك الطبيب ماشيون الذى يستطيع مداواة جرحه فيهش فيلوكتيتس وينهض من فوره، ويمضى إلى طروادة … وحل عقدة الدرامة على هذا النحو يدلنا على مبلغ تأثر سوفوكلس بيوربيدز

٧ — أوديبوس فى كولونوس [١]

لا ندرى لماذا عاد سوفوكليس فجأة وبعد نصف قرن تقريباً إلى مأساة أوديب؟ لعله أراد أن يرد على أرسطو قبل أن يولد (٣٨٤ — ٣٢٢)، كما أراد أن يقول لماذا لم ينتحر أوديب كما انتحرت أمه!

بعد أن سمل أوديب عينيه نفاه كريون باتفاق بينه وبين ابنيه المتنازعين على العرش مما جعل أوديب يرسل لعنته على ولديه … وذهب الملك الأعمى ليأوى إلى الأحراج والكهوف فتبعته ابنته أنتيجونى لتعينه وتقوده وتسليه، وكانت ابنته الثانية إسمنيه تختلف إليه فى الخفاء لتنهى إليه أسرار طيبة … وتمضى السنون … ثم تقول نبوءة إن أوديبوس إذا مات فى أرض أجنبية واشتملت جثمانه تلك الأرض فإنها لا تلبث أن تغزو طيبة وتنتصر على أهلها.. ويذهب أوديبوس على وجهه فى الأرض، تقوده أنتيجونى حتى يأتيا أحراج يومينيدز أو ربات اللطف والرحمة[١] فما يكاد

(١) كولونوس هى إحدى ضواحى أثينا

الملك يمس بقدمه أرضهن حتى يشيع فيه إحساس الرضى والشعور بالرحمة فيعلم أن الربات قد عفون عنه وغفرن له ذنبيه العظيمين: قتل أبيه وزواجه بأمه. ثم تأتيه بذلك النبوءة، وتشمله حماية الربات، ويتلقاه ثيذيوس عظيم كولونوس فيكرم مثواه ويعطيه عهده على أن يحميه ضد ولده وضد كريون على السواء … وهكذا تنتهى آلام هذا الرجل التعس، وتعود إليه طمأنينته بعد أن كفر عن ذنبه …

والمأساة لا عقدة لها، بل هى سلسلة من الآلام عرضها سوفوكليس عرضاً جيلاً رائعاً، واستجمع لها رصانة الأسلوب ودقة الأداء وفتنة الفن … وقدمات سوفوكليس ولم يشهد مأساته تمثل، وقد تولى إخراجها حفيده المسمى باسمه فجمع لها قدسية الأكروبوليس وشدو البلابل وعظمة أثينا التى حطمتها أسبرطة

وبعد، فهذا عرض سريع مقتضب لا يغنى عن قراءة الأصول شيئاً.

دريني خشبة

(١) هن ربات العذاب وقد صيرتهن هكذا مينرفا بعد قضية أورست

يا غازى ... عليك رحمة الله !

للأستاذ على الطنطاوى



عليك رحمة الله (يا غازى) الحبيب، يافخر الشباب، يامن لم يتمتع بالشباب ! ياسيد العرب، يامن روع فقده العرب. يابدر العراق الآفل، ياأمل الشام الذاهب يا دنيا من الفتوة والبطولة والنبل طواها كف الموت (يا غازى) عليك رحمة الله !

بالأمس استصرختك وأنت أملنا وملاذنا، وأنت عوننا على الدهر الظالم، والعدو الغاشم، أفأقوم اليوم لأرثيك يا أملنا ويا ملاذنا ؟ أأقف على قبرك الطرىّ مودعاً وباكياً، وقد كنت أقف على بابك العالى مستغيثاً ومستصرخاً ؟ أأخاطبك اليوم من وراء القبر وقد كنت بالأمس ملء الكون حياة وقوة وشباباً ؟

ليتنى ما عشت حتى أرى هذا اليوم ! ليت يدى ما طاوعتنى حتى أكتب هذا المقال ! ليتنى ما بقيت حتى أرثيك يا غازى ! (يا غازى) جل المصاب وما لنا فيه يدان ! (يا غازى) عظم الخطب وضاقت الحيلة ! (يا غازى) لو كان يفتدى ميت لفداك العرب بأنفسهم ! (يا غازى) قد فقدناك فعليك رحمة الله !

على شبابك الكامل، على بطولتك النادرة، على أيامك الحلوة، على ذكرياتك الخالدة، على روحك الطاهرة (يا غازى) رحمة الله !

* * *

أفى عشرة أيام يدور الفلك، وتتبدل الدنيا، ويستحيل عيد مولد الملك الشاب الحبيب، إلى مأتم الملك الشاب الحبيب ؟

أفى عشرة أيام تمر دنيا كاملة، تبدأ بأعظم عيد عرفه هذا الشعب هو عيد ميلاد (غازى) وتختم بأجل مصاب رآه، وهو المصاب (بغازى) ؟

من كان يظن وهو يشهد أفراح هذا الشعب فى (٢١ آذار) يوم الربيع الطلق، ويوم (غازى) الذى كان أمرع من الربيع وأبهى، أن الفجيعة الكبرى كامنة فى الغد القريب، وأن هذا الشعب سيلطم وجهه ويمزق ثوبه حزناً على (غازى) ؟

أأحسست بالغد القريب فذهبت تستعجل القدر لتهيّئ لأمتك كل شىء قبل أن تمضى، فعرضت جيشك يوم الثلاثاء لتؤكد لها القوة والأيد، وفتحت السدة يوم الأربعاء لتضمن لها الحضارة والخصب، وعطفت على آلام سورية لتنشئ لها الوحدة والعزة، وأجريت الخيل يوم الجمعة لتعلم وليدك الصغير كيف يكون فارساً قبل أوانه، كأنك شعرت أنا سنفجع فيك قبل الأوان ؟

لقد كنت قريباً منك يوم (عرض الخيل) فرأيت فى عينيك وأنت تراقب ابنك معنى من معانى الغيب ولكنى ما أدركته، ومن أين يخطر على بالى أنك كنت تودعه، وتفكر فيه كيف يفقد أباه ويجد الملك، فلا يدرى ما الملك ولا يني ينادى : بابا ... ؟

من كان يظن أن الملك الشاب ابن الخمس والعشرين يموت ؟

من كان يظن أن هذه الهبّة الكبرى إنما هى استعجال للقدر، وأن هذه الأيام العشرة إنما هى الخاتمة البارعة لتلك الحياة البليغة ؟ .. ولكن هل تم كل شىء حتى تستريح (يا غازى) ؟

لقد وعدت (وفد العروة) أن تشرفهم بلقائك وما عهدناك أخلفت قبل اليوم وعداً. لقد كمل الجسر العظيم الذى لم ينشأ مثله فى عهد الرشيد والمأمون، فأين أنت لتفتتحه بيدك، وتخطو فيه أول خطوة ؟ لقد وصل الخط الحديدى إلى الموصل أفلا تفضلت فرعيته وافتتحته ؟ لقد أجمعت أمة الشام على نصبك ملكاً، وتسليمك عرش أبيك على رغم الظالمين، فأين أنت لتسكن قصر أبيك فى دمشق وتحتل عرشه فيها ؟ لقد تهيأ العرب ليمشوا تحت لوائك إلى قمم المجد وذرى العظمة، فتقدم يا قائد العرب يا مليك ؟

وأين قائد العرب ؟ أين المليك ؟

لقد مشى إلى رحمة الله، فإنا لله وإنا إليه راجعون !

* * *

أحين اشتدت المعضلة، واستحكم الأمر، ورجوناك للخطب لا يرجى فيه إلا أنت .. ؟

أحين تعلقت بك الآمال ، وأقبلت عليك القلوب ، وغدوت حبيب الشعب المفدى ..؟

أحين تمت بك الأفراح ، وكادت تتحقق بك المنى ...؟

اللهم لقد حرمت كل شيخ منا ابنه ، وكل فتى أخاه ، وكل صبي أباه ، حين أخذت سيدنا وحبيبنا وملكنا غازى !

اللهم فارزقنا الصبر ، وأين منا الصبر ؟

***

(يا غازى) ارفع رأسك ساعة وانظر إلى شعبك . إنه يحار ماذا يصنع ، فهو يسكت واجماً ثم يثور نادباً ، ثم يستفزه الألم فيقرع الطبول ويرقص رقصة اليأس . إنه يحمل صورتك مجللة بالسواد فلا يراها أحد حتى يبكى .. على أنهم حملوا صورتك فى الأفئدة ونقشوها على صفحات النفوس ، فأنت من كل قلب حبته ، ومن كل عين سوادها ؛ اسمك آهة على كل لسان ، ودمعة فى كل مقلة ، وخفقة فى كل فؤاد ، ومناحة فى كل بيت عربى ...

فيا غازى ، عليك رحمة الله !

***

لقد لحقنى اليوم طفل ما أحسبه بلغ الرابعة ، فجعل يطلب منى بإلحاح ويشير بيديه ؛ فأعطيته فلسين فألقاها فى وجهى ، فردتهما فرمى الأربعة ، فتفهمت قصده فإذا هو يطلب شارة سوداء كالتى أضعها فى صدرى ليعلن بها الحزن عليك ، فدفعتها إليه فانصرف وهو يذكر اسمك ويبكى !

لقد رأيت عجوزاً تنظر إلى رسمك المجلل بالسواد وتبكى بحرقة كأنما تبكى فيك ولدها الوحيد ، وهى تظن أنه ما يراها من أحد إلا الله !

لقد أغمى على كثير من الطلاب والطالبات لما سقط عليهم الخبر الأسود . لقد احمرت من اللطم صدور وخدود يؤذيها مس النسيم !

يا غازى ، يا أيها الفتى القوى ، يا أيها الفارس الطيار ، ألم تعد تستطيع أن ترفع رأسك مرة أخرى لترى ما صنع شعبك ؟

لقد مت من القضاء مرة ولكنا متنا من الحزن ألف مرة ، وسنموت من الحزن ألف مرة ، ولن ننساك (يا غازى) ، مثلك ما ينسى !

***

إن الشام الذى نادى بك مليكاً منذ أيام وكنت أنت أمله لم يبق له أمل ، فهو يبكى فيك اليوم كل شهيد من شهدائه .

إنه كان يحبس دمعه من أجلك فلمن يحبس الدمع من بعدك ؟

إن العجوز التى كانت تتلقى ابنها القتيل وهى تهتف باسمك ، لم يبق لها من تهتف باسمه من بعدك :

(يا غازى) من لأطفال الشام ، من لنسائه ، من لضعافه الذين يسومهم القوى ألوان الخسف ؟ (يا غازى) من لهم ، وباسم من يهتفون من بعدك ؟

(يا غازى) ما تيتم لفقدك فيصل الصغير وحده ولكن فقدك يتّم كل عربى . ما تيتم فيصل الصغير، أبداً ما تيتم، إن كل عربى له أب وخادم وصديق ، إن له فى قلب كل عربى مكاناً !

***

أحقيقة أنهم أودعوك جوف الثرى ؟

(يا غازى) إنى والله ما أصدق أنك مت !

(يا غازى) لقد سمعت الخبر فكذبته ، ولعنت ناقله وانتظرت أن أراك طالعاً علينا ، تمر مرّ النسيم الناعش ، مرّ الرجاء الحلو بخيال الآيس الحزين ، تحيى شعبك ، وتسبغ عليه القوة والحياة بابتساماتك النيرة وفتوتك الباسلة ؛ وطفقت أراقب الساعة أحسب الوقت فلم تمر ، فشككت ولكنى لم أصدق ما قال المرجفون ، ورأيت النساء يبكين ويندبن ، فبكيت والله ، ولكنى لم أصدق ما قال المرجفون ... وشاهدت بغداد وملء شوارعها البكاء والحسرة والندب ، ولبثت أشك ولبثت أرجو ، حتى سمعت المدافع ووعيت الصيحة ، فلم يبق شك ولم يبق رجاء ... لقد تحقق النبأ فوا حسرتاه... لن نراك (يا غازى) طالعاً علينا ، لن نبصر من بعد موكبك ولا ابتساماتك ولا تحيتك ، فيا غازى فى ذمة الله وأمانه ، يا غازى عليك رحمة الله

***

يا أهل بغداد !

مات غازى فابكوا واندبوا، فعلى مثل غازى يحلو الندب والبكاء.

يا أهل بغداد !

ما فجعتم فيه وحدكم ، ولكنها فجيعة العرب بسيد العرب . لقد كان منار رجائنا (معشر الشاميين) فانطفأ المنار . لقد كان لنا مناط الأمل . لقد كان لنا كل شىء ... فيا أهل بغداد كلنا فى المصيبة سواء

ولكننا سنتبع طريق غازى ، وسنمشى تحت لواء خليفته . حتى نبلغ الغاية التى سمى إليها ويقول التاريخ : إن العرب يبكون سيدهم الراحل لأن لهم عواطف وقلوباً، ولكنهم يخلصون لسيدهم الجديد لأن لهم مطامح وعقولاً . فيا غازى إذهب إلى رحمة الله مشيعاً بالحب والإكبار . ويا ابن غازى اعل العرش، وانشر اللواء واحمل التاج ، فإنه ليسر روح غازى فى سمائها ، وعظامه فى ثراها أن يخلص شعب غازى لخليفة غازى كما أخلص له

يا غازى عليك رحمة الله . ويا خليفة غازى ابسط يديك فهذه بيعتنا ، وسر بنا إلى الأمام فهذه سواعدنا وهذى أرواحنا ... إلى الأمام ... وعلى غازي رحمة الله والسلام .

على الطنطاوى

فتح فى عالم الطب

يوفق إليه بحاثة وطنى

للأستاذ فليكس فارس

إذا كان رجال العلم فى الأقطار الغربية يترصدون كل اكتشاف ويرقبون كل اختراع يوفق إليه التفكير الإنسانى أيان كان التماعه ومن أية أمة كان انبثاقه، وإذا كنا نحن فى بدء نهضتنا لا يتتبع منا إلا النذر اليسير خطوات العلم فى مجاهل الجسم البشرى ومجالات الطبيعة فى مختلف مظاهرها ، فقد حق علينا على الأقل أن يستوقفنا ما يوفق إليه الباحثون من أبناء وطننا ، وأن يهتم الخاصة والعامة منا بأية ظاهرة من ظاهرات العبقرية التى تتجلى من حين إلى حين فى أبناء هذه السلالة العربية الشرقية كأنها تباشير الشفق ودليل انبعاث لعهدنا القديم

لقد أراد البعض ممن يدعوننا إلى اتباع القافلة العلمية الغربية أن يدّعوا تفرد السلالات الآرية فى الذهنية الاستقرائية قائلين : إن ذهنية الشرق لا تخصب إلا بالاستيحاء والاستلهام من النفس، وإنها تقصر فى مجالات التدقيق أمام الظاهرات الكونية ، وأن ليس لنا نحن أبناء السلالة السامية إلا الاقتباس والعمل بما يكتشف الغرب ، فقلنا لهم : إن أجدادنا قد تسلموا تراث العلم ممن سبقهم من الشعوب فدفعوا به إلى التكامل وتوسعوا فيه وزادوا عليه ، فما أقنعهم دليل الواقع فى التاريخ القديم ؛ غير أن الزمان يمشى بخطواته والشرق العربى يستعيد أمسه فى يومه ويتهيأ لوثبته الكبرى فى غده ، فيعلم دعاة التقليد فى مجال التفكير أن الله لم يخلق العقل من مغانيم متعددة متفاوتة الصفات فى جماجم الناس؛ وأن الشعوب إذا انفرط شملها على سبل الثقافة فى عواطفها وتجمعها فى حياتها فإنها لا تجد أمامها إلا صراطاً واحداً فى التفكير، وهى متجهة إلى العلم ومعرفة الحقائق الواحدة فى جوهرها

هذه كلمة لم أر بداً من إيرادها عطفاً إلى ما سبق لى نشره فى مبحث الشرق والغرب لأتدرج إلى قول كلمة فى ظاهرة من مظاهر نهضتنا العلمية يحق لنا أن نباهى بها ، وقد أقرّها من الغرب مَن لهم ردٌّ ما بنى على التوهم والاعتراف بما يؤيده العلم الصحيح

* * *

من الأمراض التى أضلَّت أسبابها الباحثين قديماً وحديثاً داء الروماتزم أى الالتهاب المفصلى الحاد بأنواعه . فكان دهاقنة الطب يعرفون عنه أنه داء عضال خفيت أسبابه ، وعزّ على الطب التحكم فيه إطلاقاً لأنهم لم يوفقوا إلى اكتشاف العامل الحقيق الذى يلهب المفاصل بسمومه ، ولا عرفوا نوع هذه السموم إلى أن قيض الله لطبيب مصرى من هذا الشرق العربى ، وهو : الدكتور نجيب فرح المقيم فى الاسكندرية أن يكشف هذا العامل الخفى ، ويهتك بإظهاره للعلم سلسلة من أسرار المناعة والدفاع لا فى داء الروماتزم فحسب بل فى غيره أيضاً من الأدواء التى لا يزال العلماء يعالجون خفاياها

وحين عقد المؤتمر الطبى العربى أوائل فبراير الماضى فى القاهرة تقدم الدكتور فرح إليه بتقرير مستفيض عن أبحاثه التى اعترف له بها دهاقنة أطباء الغرب واستشفوا من ورائها آفاقاً جديدة للطبابة فأورد بالأسلوب العلمى شذرات قد لا يسبر كنهها إلا رجال الطب فرأينا التحدث إلى طبيبنا الوطنى استجلاء لحقيقة هذا الاكتشاف. وهكذا تسنىّ لنا أن نضع هذا المقال ، ونحن على جلية مما نعرض

لقد وفق مواطننا سنة ١٩٣٣ ، وهو يعالج المصابين بالروماتزم إلى العثور على جرثومة البنموكوك ثائرة فى دمهم ، فاستوقفته هذه الثورة فى داء لم يكن يُعرف من قبل أن له بها علاقة مباشرة إذ كان من المقرر فناً أن البنموكوك كما تدل تسميته وهى جرثومة ذات الرئة لا يسبب إلاّ التهاب الرئة عند تهيؤ الأسباب له للخروج من استكانته

وعند ما لجأ إلى طريقة « نوفلد » للتفريق ما بين البنموكوك والستر بتوكوك « وهى تقوم بإضافة صفراء مرارة الأرنب أو الأملاح الصفراوية فى أنبوبة المعمل على هذه الجراثيم فتحل النوع الأول ولا تؤثر على النوع الثانى » خطر له وهو يعاين هذا التفاعل فى الأنابيب أن يقيس معدل هذه المادة المعروفة باسم « بيلسيروبين » فى دم المصابين فثبت لديه أنها ترتفع ارتفاعاً متفاوتاً فى شدته تبعاً لقوة رد الفعل الشخصى دون أن يكون فى مجارى الصفراء أى انسداد وفى الكبد أية علة يسند إليها ارتفاع معدل المادة الملونة للصفراء فى الدم بالتحول ، فأدرك بهذه الخطوة الموفقة أمرين هما الحلقة المفقودة فى علة الروماتيزم وفى علل أخرى كما سيأتى البيان . وأثبت أن الروماتيزم الحقيقى إنما هو نتيجة لثورة البنموكوك عند ما تضعف مقاومة الجسم ، وأن السم الذى ينبعث عنه إنما هو المسبب لالتهاب المفاصل كما أثبت فى الوقت نفسه أن ارتفاع معدل المادة الملونة للصفراء فى الدم فى هذه الحال ليس عبارة عن يرقان مَرَضىٍّ بل هو رد فعل داخلى قد يبدو تحت سيطرة الغدد الصماء لحشد ما يمكن « لشبكة آشوف » النارشية أن تمد به الخلايا من مادتها الملونة للصفراء لمقاومة البنموكوك المجتاح بتلبيده فى الدم ثم حله ثم هضمه

وما احتفظ الدكتور فرح لنفسه بهذا الاكتشاف بل ذهب يكرر اختباراته وينشر عنها فى كبريات المجلات الطبية، وقد سبق أن أدلى عنها ببيان فى المؤتمر الثامن للاتحاد المصرى للأطباء عام ١٩٣٦ ونشر مثل هذا البيان فى مجلة لانسيت عام ١٩٣٧ ، وفى مجلة أمراض البلدان الحارة فى لندن عام ١٩٣٨ ، ثم عرضه على مؤتمر أوكسفورد العالى فى جلسة لميانفتون فدون فى محضره . فكان لما جاء به هـذا الطبيب الوطنى من الملاحظة والاستقراء والتعليل شأن كبير لدى رجال الغرب المنقطعين إلى استكشاف مجاهل الجسم واستجلاء أسرار العلل فيه

وعند ما عقد المؤتمر الطبى العالمى فى بات من أعمال انكلترا فى أبريل سنة ١٩٣٨ ووقف النطاسى « هانش » يعرض مشاهداته السريرية عن تأثير اليرقان فى الالتهابات المفصلية والعضلية مكتفياً بسرد الحوادث دون الذهاب إلى تعليلها ، وقف مواطننا الدكتور فرح فتناول شرح هذه الظاهرة بما اكتشفه فى اختباراته طوال السنين من تأثير اليرقان تأثيراً ناجحاً فى الروماتيزم مثبتاً أن المادة الملونة للصفراء تلبد البنموكوك وتحله وهو أصل الداء فى ثورته .

وهكذا جاء مواطننا فى مجتمع من أكبر المجتمعات العلمية العالمية بتعليل يعززه الاستقراء والتحقيق لظاهرة كان يقف عندها الأطباء كأنها تصادف بين حلول داء الروماتيزم وظهور اليرقان دون أن يعلموا أن ثورة البنموكوك هى كلمة السر فى حركة الهجوم والدفاع

أما الأمراض الأخرى التى اكتشف الدكتور فرح تأثير المادة الملونة للصفراء عليها ، فمنها ذات الرئة وبعض أنواع الربو والحمى القرمزية التى تهبط الحمى والنوب فيها وبتماثل العليل بها إلى الشفاء بمجرد ظهور اليرقان وانتشار المادة الملونة للصفراء لحل البنموكوك وإبادته . ومنها داء السل والحمى التيفوئيدية التى تجد جراثيمها مرتعاً ملائماً فى المادة الملونة للصفراء فتؤدى إلى استفحال الداء على عكس مايحدث فى ذات الرئة والروماتيزم والحمى القرمزية ، لذلك يعمد الجسم فى دفاعه إلى إنقاص معدل هذه المادة فى الدم حين يصاب بالعلل الأولى

وهكذا أثبت مواطننا أن هناك دفاعين : دفاعاً إيجابياً ودفاعاً سلبياً تؤمنه الشبكة النارشية لإمداد الجسم بقوى الدفاع عن سلامته بحسب نوع الجراثيم التى تجتاحه

هذا وإنك لتجد فى تقرير الدكتور فرح من تجاربه فى دم الأرنب ما يدلك على مبلغ دقته واجتهاده فى التوصل بالتجارب العملية إلى نتائج لا تترك مجالاً للشك فى صحة القاعدة التى يضعها، فقد تحقق أن الأرنب ذو مناعة طبيعية ضد التيفوئيد لأنه لا مادة ملونة للصفراء فى دمه ، ولكنه تمكن من قتل هذا الحيوان بهذا الداء بمجرد حقنه يومياً بهذه المادة بعد تلقيح دمه بباشلس ايبرت

وفى هذا التقرير عن سير السل وما يؤدى إليه ظهور اليرقان من اشتداد العلة ، والاتجاه إلى نزف الدم ، وعن الحمى القرمزية ، والربو وتأثير المادة الملونة للصفراء فيهما ، ما يطول إيراده تفصيلاً فى هذه العجالة .

وبعد أن أورد الدكتور بيانه مستشهداً باختباراته وبما جاء مؤيداً لها من اختبارات من أخذوا بنظريته من علماء الغرب يقول :

إننا لا نغالى إذا نحن أكدنا أن أشد أعداء الإنسانية خطراً إنما هى البنموكوك ، وباشلس كوخ لأن عليهما تقع تبعة أكثر

ما نشاهد من عاهات ، وما يقع من وفيات . هذا فضلاً عن أن أعراضهما المرضية تتخذ أشكالاً جد متعددة؛ وإذا ما احتلا مرتعاً من الجسم توافر الاستعداد فيه أو انكشف إحساسه فإن الأول يؤدى إلى الإصابة بالروماتزم الحقيق، والثانى إلى ما يشبه الحقيق، وإلى داء المفاصل على اختلاف أنواعه وفقاً للتفاعل الخاص فى كل فرد.

وبعد أن يعرض الدكتور البحاثة لأنواع الأمراض التى يلعب البنموكوك دوره فيها كذات الرئة والالتهابات الشعبية والربو والحمى القرمزية والسل يعود فيضع حدوداً للتمييز بين ما تثيره سموم البنموكوك وما تثيره سموم السربتوكوك من علل مختلفة مثبتاً تأثير المادة الملونة للصفراء وأملاح الصفراء على الروماتزم الحقيق بعد أن أثبت أن البنموكوك هو المسبب له عند ثورته

ومما لاحظه مما يؤيد اكتشافه هو أن المرأة المصابة بالروماتزم تزول أعراض هذا الداء منها بمجرد حبلها، لأن المادة الملونة للصفراء يرتفع معدلها إطلاقاً فى دم الحامل طوال مدة الحمل

وقد حدد الدكتور فرح الأحوال التى تصح فيها معالجة المرضى بالحقن بالمادة الملونة للصفراء والأحوال التى تزيد فيها هذه المعالجة من خطورة الداء ؛ وهنا تظهر الدقة البالغة حدها فى الاستقراء إذ يتوصل البحاثة إلى تخطئة بعض دهاقنة الغرب فى اعتقادهم أن كل روماتزم يمكن معالجته مطلقاً بالمادة الملونة للصفراء لأن هنالك أنواعاً من الروماتزم السلى « بونسه » تزيد خطورتها عند المعالجة بالمواد الصفراوية

من الصعب أن يتوصل كاتب إلى تلخيص كل ما أورده الدكتور فرح فى تقريره من ملاحظات عززها بالرسوم العديدة المأخوذة عن مجالات المجهر ليبين التفاعل الذى تثيره مقاومة الجسم بين بعض أنواع الجراثيم والمادة الملونة للصفراء؛ فلمن تروق له هذه الأبحاث من غير الأطباء أن يرجع إلى المجلة الطبية حين صدورها ناشرة محاضرات أطباء البلاد العربية ولكل منهم أثر بين فى دقة الملاحظة فى الموضوع الذى تناوله مما يسجل للنهضة العلمية فى الشرق العربى ما يرد قول القائلين بانحصار العبقرية السامية ضمن نطاق الذات المستلهمة وقصورها فى الاستقراء والتحليل والاستنتاج فى رحاب العلم والتحقيق العملى

إن القصور فى نهضتنا لا يتجلى فى جهود الأفراد ولا فى استعدادهم فكرياً وعملياً ، بل القصور كله كائن فى هذا التفكك بل التناحر الذى يسود كل فئة من الجامعات فى أوطاننا، إذ بينما تجد التضامن سائداً بين تجار البلاد الراقية وزراعها وصناعها وأطبائها وعلمائها وأدبائها لا تعرض لك هذه الفئات عندنا سوى التناحر والمزاحمة مما يؤدى إلى تقلص الهمم وانكماش العبقريات على نفسها. وقلما تجد كاتباً لم تنزل به النوائب من كاتب ، أو تاجراً لم يزعزع تجارته تاجر ، أو زارعاً لم يقطع أشجاره زارع ، أو طبيباً لم يهزأ به طبيب .

تلك هى علتنا، وإن نحن سجلناها على أنفسنا فما نقصد مجاراة من قالوا بضعف طبيعة الشرق ونفور فطرته من كل تعاون ، إنما نسجل هذا العيب على أنفسنا ، وفى تاريخ أوروبا فى بدء نهضتها ما يشبه عيبنا بل ما يتعداه بمراحل؛ وليست وقائع كولومبس وغاليله وباستور متوارية وراء غياهب التاريخ . هذا وإننا نرجو أن يأخذ العقلاء بيننا بعبر الأيام وحوادث الدهر ليعملوا على لم الشعث وتوحيد الجهود وأن ينال علماء البلاد قسطهم من تعضيد الحكومة للنهوض بهذه الأمة المتفجرة ذكاء وعبقرية ونبلا فتتبوأ المقام الذى حق لها فى ماضى الحقب وهو حق لها فى آتى الزمان

فليكس فارس

دراسات في الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

الأدب يصور البيئة العامة

قلنا إن الأدب هو البيان المعرب عما يكنه ضمير الإنسان، وما تشعر به عاطفته، وما يصوره خياله من هذا العالم خيره وشره وجماله وقبحه؛ فهو صورة للبيئة التي يعيش فيها، والواقعات التي تنزل به، والآلام واللذات التي يحسها، والآمال والمكاره التي يرتقبها

يرى في إقليمه المروج والرياض في بهجتها ونضرتها، والجبال والبحار في عظمتها وروعتها، والغابات والصحاري في وحشتها ومخاوفها، فيبين عما يرى كما توحي العاطفة ويصور الخيال

ويرى ألواناً من العيش الرغد أو العيش النكد، وضروباً من السرور واللهو، أو فنوناً من الحزن والغم

ويرى دولات من الظفر والغلب، وأخرى من الخيبة والهزيمة، فيتعاون على الإبانة عن هذا وذاك فكره وعاطفته وخياله

ويشهد شقاقاً في أمته، ونزاعاً بين عشيرته، أو يرى المودة والسلام والألفة والوئام، فيطبع في نفسه صورة الشقاق والنزاع والحرب والطعان، أو يتمثل في ضميره صور المودة والسلام والحب والإخاء

ويحيط به سلطان جائر يتحكم في فكره ووجدانه، ويسومه صنوف الذلة والعذاب، فيستنيم ويستكين حتى تموت المعاني في وجدانه، وتجف الألفاظ على لسانه، أو يأبى مجادلاً، ويصيح مغاضباً، ويتخذ البيان حجته وسلاحه، وجداله وكفاحه

أو يتاح له سلطان عادل صالح يوسع له في الحرية ما وسعت الحرية الصالحة، فينطلق فكره في العالم، ويترجم عما يدرك ويشعر جهد بيانه، وملء قلبه ولسانه، لا يخشى حسيباً، ولا يخاف رقيباً

ثم البيان في هذا كله على قدر الفكر الساذج والمعارف القليلة، أو العقل الواسع والعلم الغزير، يختلف باختلاف مدارك القائل ومعارفه، ومشاهده وتجاربه

تغير الأدب

فإن يكن الأدب صورة للبيئة والحادثات، وترجماناً لحالات الأمة ومشاعر الإنسان فتغير هذه الأمور يغير الأدب. فإن كان التغير ارتقاء إلى الأحسن والأعلى مثل الأدب هذا الارتقاء، وإن كان ارتكاساً في القبيح والأدنى صوّر الأدب هذا الارتكاس. فالأمم تختلف آدابها باختلاف بيئاتها وأحوالها، والأمة الواحدة تتغير آدابها بتغير عصورها وأطوارها، والأفراد في الأمة الواحدة تختلف آدابهم باختلاف فطرهم ومشاهدهم، وافتراق حظوظهم من العيش، وأنصبائهم من المعرفة. وهلم جرا

المؤثرات في الأدب

فالمؤثرات التي تغير الأدب كثيرة متشابكة، ظاهرة وخفية يعسر إحصاؤها والإحاطة بها، ولكن يمكن تعداد أصولها فيما يأتي:

(أ) البيئة الطبيعية:

إذا تغيرت بيئة الإنسان تغير أدبه ارتقاء أو انحطاطاً، أو رقياً في ناحية ونزولاً في أخرى. والتغير هنا له سببان: الأول اختلاف المرائي والموضوعات بين البيئة الحديثة والبيئة القديمة، والثاني تغير الإنسان نفسه بتأثير البيئة وذلك لا محالة يظهر في أدبه

فالعرب حينما هجروا مواطنهم في الجزيرة إلى العراق وفارس والشام ومصر والمغرب والأندلس تغير أدبهم تغيراً واضحاً: ضعف إحساس البداوة القوي الذي يظهر في وصف الصحراء والإبل والخيل وحُمُر الوحش والظباء والنعام، وفي وصف السفر والكد والحروب — واستبدلوا به رفاهية الحضارة ورقة شعورها. فنشأ الشعراء الذين عرفوا في الأقطار الإسلامية بعد أن اطمأنت الأجيال العربية إلى البيئات التي طرأت عليها

(ب) واختلاف أحوال الحضارة ومنها:

١ — الحال العقلية: فشيوع العلم والفلسفة واتساع المعارف يجعل الأدب أعمق. وأشمل لحقائق العالم ودقائق الطبيعة والحياة. فشعراء الدولة العباسية وشعراء الأندلس (مثلاً) أبعد غوراً

وأوسع مجالاً فى تفكيرهم، وتصويرهم من شعراء الجاهلية، وصدر الإسلام .

وتأثير المعارف فى الأدب يظهر فى النثر أكثر من الشعر . لأن النثر أولى بمباحث الفكر ، وأقبل للنظر العميق ؛ ولذلك نرى سعة المعارف أبين فى كتابة ابن المقفع والجاحظ، وبديع الزمان والتوحيدى ، وابن العميد ، وابن شهيد ، منها فى شعر أبى نواس والبحترى وأبى فراس . وربما يقارن انتشار العلوم ضعف الأدب لأسباب أخرى كسوء السياسة ، وقلة المكافأة ، والإسراف فى الترف . وليس الضعف من انتشار العلوم ، ولكن من هذه الأحوال المقارنة (١)

فإذا رأينا القرن الخامس الهجرى أوسع علماً وفلسفة من القرنين الثالث والرابع ولكنه فى الجملة أضعف أدباً منهما ، فذلك لا يرجع إلى اتساع المعارف بل يرجع إلى أسباب أخرى

وإذا رأينا الأدب قليلاً بين العلماء المنقطعين للعلوم فذلك بما أغفلوا الأدب أو قلت عنايتهم به ؛ أو لأن فطرتهم التى وجهتهم إلى درس العلوم لا يلائمها درس الآداب . فأما إذا تساوى اثنان فى الفطرة الأدبية والاتجاه إلى الأدب فأوسعهم معرفة أعظمهم أدباً وأقرب إلى نفوس الخاصة من الناس . وربما يفوقهم الآخرون حظوة عند العامة بما شاركوهم فى الشعور ولم يرتقوا عنهم بالمعرفة والفكر كثيراً

٢ — الأحوال الاقتصادية :

إذا شغلت الأمة بتحصيل قوتها وأنفقت معظم وقتها فى كسب معيشتها لم تزدهر فيها العلوم والآداب والصناعات . وإذا وجدت فراغاً بعد تحصيل القوت انصرفت إلى شئون الحضارة من العلم والأدب وغيرهما

فانتظام ثروة الأمة ورغد عيشها يُعين على إزهار الآداب بما تجد النفوس من فراغ وبما يكثر أمامها من ألوان الحضارة وبدائع الصناعة والعمران التى تحرك الشعور للبيان

وانظر الحجاز قبل الإسلام وفى صدر الإسلام ثم بعد قرون تجد خلافاً بيناً فى الثروة وفى الشعر . فالعرجى وعمر بن أبى ربيعة وكُثيّر وابن قيس الرقيات ، يبينون عن شعور دقيق وإحساس رقيق لم يكن لشعراء الحجاز قبلاً

وانظر ما فعلت مرائى الحضارة بالبحترى فى وصف قصور الخلفاء ، وما وصف شعراء الأندلس من مظاهر العمران والنعيم

وإن يكن إلحاح الفقر أحياناً يجوّد الأدب فى بعض الناس فذلك يكون فى أمة قد مكّنتها ثروتها العامة أن تنتج أدباً . وأما الأمة التى يعمها الفقر وتُبرّح بها الفاقة ، فلا ينبغ فيها أديب إلا على الندرة والشذوذ

عبد الوهاب عزام

(١) وقد يفسر هذا بأن النبوغ العلمى والأدبى يظهران معا ، ولكن الأدب يزهر سريعا ، ويذبل سريعا لدورانه على العاطفة ، والأمور النفسية . والعلم يحتاج إلى مقدمات عقلية ، وأطوار فكرية طويلة إلى أن يحيط الناس بمسائله . ثم إذا أحاطوا بها بقيت العقول قادرة عليها زمنا طويلا وإن ضعف الشعور ، وخدت العواطف — ألسنا نرى ثوارث العواطف فى الانسان سريعة قصيرة — وحالات العقل من العلم والتذكر والحفظ ، ونحوها طويلة المدى . فكذلك حالات الأمم فى العواطف وما يتصل بها والعقل وما يتصل به .

على هامش الفلسفة

طريقة الأخلاق أيضاً

للأستاذ محمد يوسف موسى

إذا كان استنتاج الأخلاق من الدين وربطها به حسب ما كان يراه رجال الدين المسيحيون منقوداً كما رأينا ، فهل من الممكن استنتاجها من معين آخر ؟ ذلك ما حاوله كبار فلاسفة ما وراء الطبيعة .

شغل كثير من الفلاسفة أنفسهم ببحوث ما وراء الطبيعة التي أهمها تعرّف القوة الموجودة لهذا الكون والتي إليها الأمر والنهي وهي مصدر الخير كله ، ثم استنتاج الأخلاق منها ، سواء منهم من تقدم بهم الزمن أمثال أرسطو وأفلاطون أو من تأخر بهم أمثال : دِيكارت[1] ، لِيبْنز[2] ، سْبِينُوزا[3] ، مَالْبْرَانْش[4] .

هذه الأخلاق المبنية على مباحث ما وراء الطبيعة لها حظها من السمو والجلالة بجعلها للخلقية الإنسانية معنى كبيراً نبيلاً إذ تربطها بالله العلي الحكيم . على رغم ما بين علماء ما وراء الطبيعة من اختلافات جوهرية في حل مشكلة العالم ، نراهم جميعاً متفقين على الاعتقاد بأن للمرء عقلاً نظرياً يصل من نفسه بلا حاجة لتجربة ولا لشيء آخر إلى معرفة الحقيقة المطلقة أي إلى معرفة الله تعالى ، ومن هذه المعرفة العالية المباشرة تصدر الأخلاق . فالله هو مصدر كل حقيقة موجودة ، والكائن الكامل ومبدأ الحياة الأخلاقية ؛ فكرة الكمال هذه هي نقطة التحول مما وراء الطبيعة للأخلاق . كما أن نسب الكثرة هي موضوع الرياضيات ، تكون نسبة الكمال موضوع الأخلاق والأساس الذي نبني عليه حكمنا على الأشياء والأعمال . الدابة كما يقول مالبْرانْش أوفر حظاً من التقدير من الحجر لأنها أقرب منه للكمال . والأمر على العكس بين الدابة والإنسان لأن نسبته من الكمال أوفى وأكبر من نسبتها منه ؛ فالذي يحترم مثلاً حصان عربة أكثر من سائقها يكون ضالاً في حكمه متنكباً سواء السبيل . كذلك من الواجب أن نلاحظ أنه يوجد في المرء نسب متفاوتة من الكمال بين مختلف أعضائه ، وهذه النسب تتباعد تارة وتتقارب أخرى إلا أنها تتفاوت على كل حال ؛ فالروح مثلاً أكمل من الجسم ، والعقل أكمل الحواس

من أجل هذا يجب أن يعيش المرء كانسان لا كحيوان ، وأن يكون في سلوكه حسب النظام الذي يوحى به إليه أكمل ما وهبه الله وهو العقل ، ومعرفة هذا النظام هو أصل الخليقة . يجب على المرء أن يحيا طبقاً لأكمل عضو إنساني فيه وهو العقل الذي يؤلف بين الناس ، بينما تفرقهم الشهوات والعواطف والمصالح الخاصة . بسلوك المرء هذا السبيل يصل للسعادة . ليس القصد السعادة الخارجية التي مردها الحظ أو الثروة أو الجاه أو كل ذلك وأمثاله معاً ، بل السعادة الداخلية والغبطة النفسية التي هي أسمى ما يطمح إليه إنسان والتي ينالها المرء من التخلق بالفضيلة والوصول للكمال بالقدر المستطاع .

بهذا ونحوه يؤكد فلاسفة ما وراء الطبيعة إمكان استنتاج الأخلاق من تلك الأبحاث . إلا أن هناك صعوبة لا يسعنا تجاهلها تقف دون نزولنا على ما يريدون . أمامنا تاريخ الفلسفة يؤكد لنا بلا ريب أن الآراء في جميع مسائل ما وراء الطبيعة ، والحلول التي عرضت لمشاكلها كانت جد مختلفة على نحو لم يمهد في الآراء الأخلاقية التي يرون استنتاجها منها وابتناءها عليها . حقاً من الممكن أن نقرر بلا مغالاة تقارب النظريات الأخلاقية في المثل العليا الأخلاقية ؛ هي تأمر بفضائل واحدة ، بينما لا نجد مثال هذا التماثل ، ولا قريباً منه في حلول مشاكل ما وراء الطبيعة . من السهل أن نأخذ كثيراً من الآراء الأخلاقية عن سقراط ، أو أفلاطون أو أرسطو ، أو سبينوزا مثلاً دون أن نتقيد بشيء ما من آرائهم فيما وراء الطبيعة . ذلك معناه أن معين الأخلاق ليس فلسفة ما وراء الطبيعة ، لهذا نرى أن هؤلاء الفلاسفة في حاجة شديدة لمهارة جدلية فائقة لربط المبادئ الأخلاقية التي جاءتنا عن

(١) أحد فلاسفة الفرنسيين وأعلام رجال ما وراء الطبيعة والهندسة (١٥٩٦ – ١٦٥٠) اشتهر بمباحثه فيما وراء الطبيعة وبمذهبه في الشك الذي ابتدأ بإنكار كل شيء وانتهى بإثبات وجود الله .

(٢) عالم وفيلسوف ألماني شهير (١٦٤٦ – ١٧١٦)

(٣) فيلسوف هولندي معروف (١٦٣٢ – ١٦٧٧)

(٤) أحد فلاسفة ما وراء الطبيعة الفرنسيين (١٦٣٨ – ١٧١٥)

الضمير الإنساني ، والتي أمدتنا بها أمثل التقاليد العالية الإنسانية بآرائهم في مسائل ما وراء الطبيعة . وإذاً فلنقل بحق إن ربط الأخلاق بما وراء الطبيعة ليس إلا سفسطة في الغالب من الحالات

إذا كان لم يسلم استنتاج الأخلاق من فلسفة ما وراء الطبيعة، كما لم يسلم القول بأخذها من الدين على النحو الذي أسلفنا ، فهل من الممكن استنتاجها من بعض العلوم ؟ هذا ما رآه « أوجست كونت[1] » إذ بنى أخلاقه على العلم الذي تنتهي إليه العلوم ، وهو علم الاجتماع

علم الاجتماع يقرر أن الفرد ليس إلا أثراً من آثار المجتمع والإنسانية . الإنسانية هي الموجود الأكبر الذي يستمد الفرد منه كل كيانه ومقوماته ، فهو يتقبل من المجتمع الماضي والحاضر كل ما له وكل ما هو . ما نأكل وما نلبس وما نتمتع به في مختلف مناحي الحياة ليس إلا نتيجة عمل الإنسانية الخالدة التي لا تفتر عن العمل لحظة من اللحظات لخير المجتمع كله . أليس ما ننعم به اليوم من سيارات وطائرات وراديو ولاسلكي وكهرباء بعض أعمال شركائنا في الإنسانية الذين عانوا في سبيل ابتداعها أو كشفها كثيراً من الآلام وعملوا لأجلها مالا يستهان به من التضحيات ؟ ثم من الناحية العقلية والأدبية نجد اللغات والعلوم والآداب إرثاً اجتماعياً أمدتنا به الإنسانية على طول الأيام .

لهذه النظريات الاجتماعية يستنتج « كونت » هذه النتيجة الأخلاقية وهي : أن الفرد يجب أن يعيش لأجل العائلة والإنسانية ، وبعبارة أخرى يجب أن يكون مبدأه « الحياة لأجل الغير » . إذن تكون الأخلاقية أو الخلقية هي أن نمكن للايثار على حساب الأثرة . بل يقول أحد من يرون هذا الرأي وهو الأستاذ « جوبلو Gobolot » : « ليس الإحسان عطية يقطعها المرء من ماله ، بل هو تعويض واجب عليه دفعه »

حقاً هذا استنتاج جميل تعلق به الأفئدة ويتفق مع أعلى التجارب الأخلاقية للانسانية ، ولكن نقطة السير في هذه الأخلاق المبنية على هذه النظريات ليست من القوة والتسليم بحيث تفرض نفسها على العقل بطريقة جازمة . كون الفرد ليس إلا أثراً من المجتمع محل نزاع قوي . الضمير النفسي الذي يكشفه الإنسان في نفسه حقيقة من الحقائق ، أل « أنا » حقيقة يقينية لا شك فيها ، بل ربما كانت الحقيقة الآكد من سواها . لأنه كما يقول « ديكارت » : « من الممكن أن أشك في العالم الخارجي ولكن لا يمكن أن أشك في شكي هذا . لا يمكن أن أشك في فكري . ليس من الممكن أن أشك في وجودي ككائن مفكر . إذن أنا أفكر فأنا موجود »

ثم هذا الاستنتاج الكونتي يصلح حقيقة لإنارة النفوس المتشبعة بالمثل الأعلى الأخلاقي ، إلا أنه لا يفرض نفسه منطقياً على كل النفوس والعقول . هذا امرؤ يعتقد الواجب ويؤمن به ، لحينما يفهم أنه صنيعة العالم والإنسانية وأنه بدونهما لا يكون شيئاً ، يجد من المنطق أن يرد الجميل وأن يحيا في سبيل الغير . وذاك الذي ليس عنده أية فكرة سابقة عن الواجب ، أية مخالفة للمنطق في قبوله كل مقوماته من المجتمع دون أن يرد له شيئاً ، حقيقة ليس من الأخلاق أن ينفق المرء في سبيل لذائذه الأنانية الأموال التي جمعت بطريق الغير ، والقوى المركزة فيه من الأسلاف السابقين . لكن هذا إن لم يكن من الأخلاق ليس من السهل وصفه بأنه لا يتفق مع الروح العلمية المنطقية

والنتيجة العامة بعد ما تقدم كله أنه لا يمكن استنتاج أخلاق صالحة مقبولة من الجميع من الدين — على نحو ما كان يفهم رجال الديانة المسيحية — أو من فلسفة ما وراء الطبيعة أو من علم الاجتماع الذي يعتبر نهاية العلوم . إذن فلنترك مؤقتاً الطريقة الاستنتاجية ، ولنوجه البحث نحو الطريقة الثانية وهي الرجوع في الأخلاق إلى الحاسة الإلهامية ، وإلى اللقاء إن شاء الله

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

(1) أحد الفلاسفة الفرنسيين الباحثين في الرياضيات ومؤسس الفلسفة الوصفية (١٧٩٨ — ١٨٥٣)

* * *

في العدد رقم ٣٠٠ كلمة الحماسة الأخلاقية ، وصحتها : الحاسة الأخلاقية وكلمة رجاء الصواب ، وصحتها : رجاء الثواب

ربيع وربيع !

هذا ربيعكما يا فتاتى الفاتنة ويا طفلتى الجميلة : صفاء من سلام النفس يفيض بشراً فى العين وطلاقة فى الوجه ، ورُواء من أَلَق الشباب يشعُّ نوراً فى السماء وسروراً فى الأرض ، ورخاء من نعيم الطبيعة ينتشر عطوراً فى الجو وزهوراً فى الروض ، وانتشاء من رحيق العيش يشيع لذة فى الحس وبهجة فى القلب ، وهدهدة على أرجوحة الحب تذهب مع الأمل الباسم وترجع مع الرضى السعيد

***

هذا ربيعكما يا فتاتى الفاتنة ويا طفلتى الجميلة : استغراق فى أمان الله ، واطّلاق لمتاع الحياة، واتساق ربيع العمر مع ربيع العام ، واتحاد الجمال البشرى بالجمال الإلهى الماثل فى وِشاء الحقول وأفواف الخمائل وأعطار النسيم وألحان الطير وأنفاس الأحبة . فأين - بالله ربكما - أجد الفرق بينكما وبين ملكين يعتنقان فى نشوة الخلد ، ويأتلقان فى وضاءة الفردوس ؟ أفى النظرة الساهمة ، أم فى البسمة الحالمة ، أم فى الفتنة النائمة ، أم فى الحلو الحقيقى بالطهر ، أم فى الحنو الخليق بالأمومة ، أم فى الذهول الغريق فى اللذة، أم فى الصبى الذى يضوع بريح الجنة، أم فى الحلم الذى يصل باللانهاية ؟

***

هذا ربيعكما يا فتاتى الفاتنة ويا طفلتى الجميلة ؛ وما كان أحرى الناس أن يكون لكل امرئ ربيع مثله ! ولكن النفوس إذا عاث فيها الشر أجدبت فلا تُربع ، واضطربت فلا تطمئن !

هذا ربيعنا يا زهرتى النضيرتين يلفح بالسَّموم ويطفح بالهموم ويضطرم بالعداوة ! كأنما استخلف الله الشياطين على حكم الأرض؛ ففى كل دولة إبليس ، وفى كل أمة جهنم . ومن طباع الأبالسة كراهة الفراديس . فهم لا يريدون سلاماً فى وطن ، ولا يحبون ربيعاً فى زمن ، ولا يدعون آدم فى جنة . هذا مَفيستو فولس النازى وشمهورش الفاشى أصابهما الله بنمو القرون فجأة ، فتأبَّها وتألَّها ونازعاه ملكوت الأرض ، فأحدهما يريد أن يعبده الغرب، والآخر يريد أن يعبده الشرق ؛ وهما لذلك يحشدان كل ما فى الجحيم من سُموم ونيران وحُمم ليدمرا فى أيام معدودات سكان الدنيا وحضارة الدهر ! والعالم كله قد وقف أمام الشيطانين موقف الدفاع ، لا تنتج معامله غير الخراب ، ولا تخرج مصانعه غير الموت ، ولا تحرك دوله غير الجيوش، ولا يفكر ناسه إلا فى الحصون والخنادق والأسلحة والمخابئ والأقنعة !



فكيف يكون لربيعنا فى هذا الجدب ازدهار ، ولنفوسنا على هذا الفزع استقرار ، ولحضارتنا مع هذا البلاء استمرار ، ولحياتنا على هذه الحال المحزنة جمال ولذة ؟!

لعن الله يا ابنتى حواء شياطين الإنس وشياطين الجن ، فإنهم لو لم يخلقوا لكانت الأرض كلها جنة ، والناس كلهم ملائكة ! ...

ابن عبد الملك

من ذكريات شم النسيم

يوم لا أنســـاه ...

للأستاذ محمد سعيد العريان

كان ذلك فى طنطا منذ ست سنين ، وكنا جماعة من مدرسى اللغة العربية قد جمعتنا على الوداد أواصر لا تنفصم ، فما نفترق إلا على ميعاد . وكان لنا من دار صديقنا أمين ... ندوة نختلف إليها فى مواعيد رتيبة ، نقرأ ونتزود ونناقش الجديد من مسائل العلم والأدب ، لا يكاد يفوتنا شىء مما تخرج المكتبة العربية ؛ فإذا التقينا فثمة مذاكرة أو مناظرة أو رأى جديد ؛ وإذا افترقنا فلكى يخلو كلٌّ منا إلى نفسه وقتاً يتهيأ فيه لموضوع يطرحه على الجماعة فى الاجتماع التالى ؛ وما كانت الفترة بين الاجتماعين تزيد على يومين اثنين ...

كنا نعيش عيش الرهابين قد فرغوا من الدنيا وأخلصوا أنفسهم لما هم فيه ؛ فما لهم من دنياهم إلا التسبيح والعبادة ، وما لشىء عليهم من سلطان إلا ما اختاروا لأنفسهم !

وجاء « شم النسيم » فقال قائل منا : « أين تقترحون أن نقضى ذلك اليوم ؟ »

وما اختلفنا على الرأى ، فما كان يعنينا أين نقضى يومنا ، إذ كان كل ما يعنينا أن نكون معاً نعمل ما نعمل على النهج الذى فرضناه على أنفسنا منذ تعارفنا : أى نقرأ ونتذاكر !

واجتمع رأينا على أن نخرج فى ذلك اليوم إلى ضاحية قريبة من المدينة لا أسميها ، حيث نقضى يومنا هناك فى مصلًّى كبير يعرفه بعض أصحابنا على حافة ترعة من تلك الضاحية ...

والتقينا على موعد قبيل الشروق وما أفطرنا بعد ، فاتخذنا طريقنا بين الحقول الناضرة إلى حيث نريد ، يحمل كل منا فى يده أو تحت إبطه ما يقدر عليه من طعام وفاكهة وحلوى ، ومن دفاتر يقدِّر أن سيقرأ منها ما يقرأ فى ظل شجرة الصفصاف الحانية على ذلك المصلى ... ولم يغب عنا تدبير الماء الرائق ، فحملنا ما يكفينا فى زجاجات بأيدينا . ولم يتخلف عن الجماعة فى ذلك اليوم إلا صديقنا الذى اختار لنا هذه الرحلة ، لأنه آثر أن يسافر لزيارة خطيبته فى القاهرة ، وقد أراد الله لنا وأراد له ...

سارت الجماعة اثنين اثنين ، وثلاثة ثلاثة ، نتجاذب أطراف الحديث فى صفاء وانشراح ؛ لا يكاد يخطر فى بالنا شىء إلا ما يجرى على ألسنتنا من فكاهة أو حديث مرتجل ...

وخلّفنا المدينة وراءنا ، فما تقع عيوننا إلا على زرع وماء ، وقطرات الندى تلمع على أوراق البرسيم صافية تترقرق ، وأشعة الصبح تداعب عِشاش الطيور فى أعالى الشجر ، والنسيم الرقراق يهمس فى آذاننا بشرى ميلاد يوم جديد من أيام الربيع الضاحك !

واستخفَّنا الطرب ؛ فأخذنا نمزح لاهين عابثين ، وتخفَّفنا من بعض ما كنا نحمل على كواهلنا من وقار ، وانبعثت فينا روح جديدة لم يكن لنا بها عهد فى أنفسنا قبل ، فإذا نحن ناس كالناس حين تصفو لهم الحياة ويعتدل الجو ...

ومددت نظرى إلى بعيد ، فإذا المرحوم الرافعى على مدِّ البصر يمشى على حافة قناة بين زرعين يتنسم نسيم الصباح ، شأنه كل يوم [(١)] . قلت لصحابتى : « وهذا رفيق مؤنس ! » ثم أقبلت عليه أسأله أن يرافقنا ؛ فقال : « وددت ولكن فى غير هذا اليوم ... أسأل الله لكم العافية ! »

***

ومضينا على وجهنا نمزح ونضحك لا يعنينا من أمر شىء ؛ وأغفلنا ما كنا نلتزم من تزمّت الشيوخ ووقار المعلمين ؛ وكان صديقنا (م) أسرعنا إلى التخفُّف من وقاره على أنه أكبرنا سنًّا ؛ فلما ثقل عليه ما يحمل من طعام وماء وكتاب ، خلع المعطف الأبيض عن كتفيه ، فبسطه على الأرض ، فألقى عليه ما كان يحمل ، فصَرَّه فيه وحمله على كاهله . ورافقتُ فكرتُه زميلاً منا ، فألقى إليه بما كان يحمل كذلك ، وتعاونا على حمل المعطف من طرفيه وعليه ما عليه كما يُبسط بساط الرحمة فى جنائز بعض الموتى ...

... ورأينا باباً جديداً إلى المزاح ، فألقى كل منا فى المعطف بما كان يحمل ، وتركنا لزميلينا أن يحملا وحدهما ما كنا نحمل جميعاً ، لنفرغ إلى المزاح والسخرية والضحك !

ودنونا من المكان الذى نريد ؛ وبدت لنا القرية على مقربة ؛ فمررنا بنسوة يملأن جرارهن من الترعة على مورد قريب من المصلى الذى نهدف إليه ؛ فما كدن يريننا حتى استهواهن النظر ، فقذفن إلينا بعض نكات مازحات فى مرح ، أو عابثات فى دلال !

(١) انظر كتابنا « حياة الرافعى » ص ٢٧٤

أما طائفةٌ منا فعادَهم وقارُ المعلمين وتَزَمُّت الشيوخ ، فطأطئوا رؤوسهم يهرولون فى خجل إلى حيث يريدون؛ وأما طائفةٌ فأجابت نكتة بنكتة ونادرة بنادرة ...

وبلغنا المصلَّى وتركنا النساء حيث كنّ ... وخلعنا أحذيتنا ، وتخففنا من بعض ثيابنا ، واتخذنا من أغصان شجرة الصفصاف مشجباً نعلق عليه من طرابيشنا ومن ثيابنا ؛ وافترشنا الأرض وبسطنا السفرة نأكل ..

... وجلس اثنان يداولان الرأى فى مسألة ، وانتحى اثنان من المصلى ناحية ، وتناول خامس كتاباً بين يديه ، وتوسد سادس ذراعه ، واشتغل كل بشأن ...

وخلع « زهران » طربوشه ، فبدت صلعته مصقولة لامعة تحت الشمس ؛ فما تعرف أين ينتهى جبينه وأين يبدأ رأسه . . . وكانت مادة حديث ...

ومر بنا طائفة من الفلاحين فنظروا نظرة ثم مضوا يتهامسون، ووقف غلامان يشيران إلينا من بعيد ، وتجاوزنا طفلان يُلقى أحدهما فى أذن صاحبه حديثاً يضحك منه ...

وتثاءب زهرانُ وتمطّى وقال لى : هل لك أن تسابقنى عَدْواً على هذا الطريق ؟ فأجبته إلى مادعا ... ولم أكن أعلم أن ثمة شراً يتربص !

وأخذنا نعدو ليس فى أرجلنا نعل تقينا وخزات الحصى ، ورأسى عار إلا من الشعر ، ورأسه عار من كل شىء !

وترامت إلينا كلمات ساخرة وعبارات لم تألفها أذناى ؛ فنال منى أن يسخر الفلاحون منى ومن صديقى ... وأتممنا فى السباق دورة ؛ وهممت أن أجلس لأستريح ، ولكن صديقى أباها علىّ ؛ وعدنا إلى السباق ، وعادت كلمات الساخرين تسك مسمعىّ !

وقلت لصديقى : « تعال نَعُدْ إلى إخواننا ! » ولكنه وقد كان رأسه موضوع السخرية ومحور حديث الساخرين ، أبى إلا أن يأخذ بحقه !

إن الفلاحين فى مصر لأكرم نفساً وأرحب صدراً من ذلك ؛ فما كان بهم أن يسخروا منا ولكنهم أرادوها تحرشاً وكيداً . . .

ترى ماذا ظنوا بنا فحملونا على مالم نكن نقصد إليه ؟

وكان ثمة غلام فى يده منجل يحش به البرسيم ، وعلى شفتيه كلام ، فقصد إليه صاحبى يعتب عليه معتبة ؛ فما كانت إلا كلمة وجوابها ثم رأيت المنجل المسنون يحزّ فى يد صاحبى فيسيل دم ...

وتجاوبت فى الفضاء صيحتان ، ثم سال الوادى فتياناً وكهولة مسلحين بالعصى والهراوات والشر يلمع فى عيونهم !

وأحيط بنا فما وجدنا سبيلاً إلى الخلاص ، واشتجرت العصىّ على رءوسنا وأبداننا فلا نجد ما نحتمى به إلا أن نعقد من أيدينا على رءوسنا مِجنّةً تقينا ضربةً قاتلة ؛ وحاولنا الكلام فما أطقنا ، ولو أطقنا لما وجدنا فى هذا الجيش الثائر من يسمع ؛ وأسلمنا أرجلنا للريح نعدو ونتعثر وما تزال العصىّ تنال من أبداننا وهم يحصبون أرجلنا بالحصى والحجارة ...

ورأى أصحابنا على مبعدة ما نالنا ، فخفُّوا إلينا سراعاً حفاةً عراة الرءوس ؛ فما كان سعيهم إلا لينالوا نصيبهم من هذه المعركة الدامية ؛ معركة لم يكن لنا فيها يدٌ ولا لسان وما نعرف لها من سبب ! وأسرع من أسرع منا إلى دار العمدة يستعينه على تهدئة هذه الفتنة فأغلق دونه بابه ...

وما كان لنا من وسيلة للدفاع عن أنفسنا غير الهرب ، وهيهات . . . !

وبلغنا المصلَّى عدْواً فقذفنا بأنفسنا بين متاعنا نلتمس الحماية والأمن فى جوار الله فما أجدى ذلك علينا . واشتدتْ هجمة الفلاحين علينا ، فإذا نحن محصورون بين نارين : العدوّ من أمامنا والبحر من ورائنا !

وأسرع واحدٌ منا إلى المتاع يجمعه فصاح منهم صائح : هذه هى الزجاجات ! وقال آخر : يشربون الخمر فى بيت الله ! وقال ثالث : ويل لهؤلاء الفجرة !

... وفى هذه الحمّى الثائرة ثاب إلىّ عقلى ففهمت ، فابتسمت ، وإن الدم ليسيل من يدى ومن جبينى ! لقد انكشف السر . . .

وما أدرى ماذا كان بعد ؛ فقد سقطت على أرض المصلَّى فاقد الرشد !

وأفقت بعد قليل ، وإن الماء الذى كانوا ينضحون به وجهى ليصل إلى كل جزء من جسدى ؛ وكان شيخ البلد جالساً يحقّق ويدقق وقد أحاط به أصحابى مكلومين ملطخى الثياب بالدم والوحل كأنهم أشلاء معركة !

... وعرفت القرية كلها بما كان ، فخفّ إلينا شيوخها وأعيانها معتذرين يحاولون أن يزيلوا من أنفسنا ما كان من أثر هذه المعركة المشئومة !

وقال العمدة معتذراً : « أحسب أن أمرها سيزول من أنفسكم بعد إذ عرفتم ما كان من ظنهم بكم وإن قريتنا لكريمة مضيافة ؛ فما استفزّ أشرارها إلى ما كان إلا اللعينُ الذى زوّر عليهم الخبر بأنكم تشربون الخمر فى مُصلّىّ القرية ... ! »

وما زال بنا العمدة وحاشيته حتى صفحنا وتناسينا ؛ ولكننا على ما بنا لم نطق بقاء فى القرية بعد ، فحملنا متاعنا وفارقنا القرية قبل أن ينتصف النهار ، يشيعنا بالاعتذار من شيّعنا من أهلها ، وما منا أحدٌ إلا فى وجهه أثر بادٍ يشير إلى ما كان !

فلما صرنا على مقربة من المدينة ، وقد عاد المشيعون من أهل القرية أحسسنا التعب ، فجلسنا فى ظل شجرة على الطريق نستريح ، وهممنا أن نبسط ما كان معنا من طعام شهى لنأكل ، فما وجدنا فى أنفسنا رغبة ، فتركناه لجماعة من القرويين لم ننتفع منه بشىء !

وأخذنا نسترجع ما فات ، فتعاهدنا على الكتمان حتى لا يعلم أحد بما نالنا ، فإن لنا فى المدينة لسمعةً نحرص عليها أن تنوشها ألسنة السوء بالباطل ؛ ثم أصلحنا من ثيابنا ما استطعنا واستأنفنا السير إلى بيوتنا فبلغناها عند الأصيل ... وقضيتُ فى فراشى بضع عشرة ساعة أتلوّى من الألم لا يحسّ أحدٌ ما بى ...

وفى الصباح توكأت على نفسى إلى المدرسة لا تكاد تحملنى قدماى ، فى غيظ مكظوم وألم صامت . ولقيت فى المدرسة بعض رفقائى فى الرحلة المشئومة ؛ فأكّدنا ما تعاهدنا عليه أمس من كتمان ما كان ...

وسألنى ناظر المدرسة عن بعض ما ينكر من حالى فتعلّلتُ بعلة ، وسأل زميلىّ فما أخطأ الاعتذار !

وتحدثت إلى سائر زملائى فى مدارسهم بالمسرة لأطمئن عليهم فأجابونى . وانتصف النهار ، وإذا داعٍ يدعونى من حجرة الدراسة إلى لقاء جماعة من الزُّوّار ، فذهبت إليهم حيث كانوا فإذا عمدة القرية وجماعة من حاشيته وبينهم زميلاى وناظر المدرسة ، وابتسمتُ وابتسموا ، وقال العمدة : « لقد جئت لأكرر اعتذارى وأسألكم الصفح ! »

ونال منى الغيظ ، فقلت : « لقد كنت صفحتُ أمس ، أما اليوم فلا ، ما دمتم أذعتموها بعد كتمان ! » ولم أستطع أن أغالب الضحك جواباً على فكاهة رائقة من ناظر المدرسة . وعاد العمدة الغبيّ يقول : « لقد مررت بإخوانك جميعاً فاعتذرت إليهم فى مدارسهم . إننى منذ الصباح أطوف المدينة على قدمىّ ألتمس الوسيلة إلى رضاكم ؛ ولكنى لم أذهب بعد إلى الأستاذ فلان المدرس بالمعهد الدينى ، وهأنذا ذاهب إليه ! »

قلت : « فلان المدرس بالمعهد الدينى ؟ حسبك معذرةً ؛ سأنوب عنك فى الاعتذار إليه ، وقد صفحتُ وصفح إخوانى ! »

وما جاء المساء ، حتى كان الخبر على كل لسان فى المدينة ؛ فقائل يقول : « أخزاهم الله ؛ لقد انكشف مستورهم ! » وآخر يعقّب : « يا شيخ ؛ حسبهم ما نالهم ! »

* * *

ولقيت الرافعى بعدها فقال لى شامتاً : « ... هو ذلك . إن الشر ليتربص بالمسلم الذى يحتفل لهذا اليوم أكثر مما يحتفل لمطلع المحرّم ! هذه وصية أب ! »

وما ذقت حلواً ولا مراً مرة واحدة فى يوم شم النسيم من بعد !

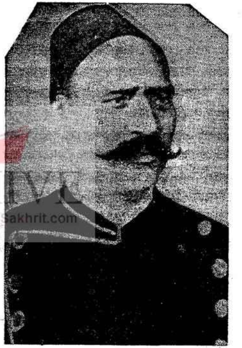
محمد سعيد العريان

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى العلاح
وأن يحدد له مكانة بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ما زالت انجلترة وفرنسا بالسلطان حتى استطاعتا إقناعه بعزل إسماعيل نخلفه على أريكة مصر ابنه توفيق ، وفى عهد توفيق قدر لمصر أن تنبعث فيها ثورة وقدر لأحمد عرابى أن يكون زعيم تلك الثورة ...

وما أشبه توفيقاً فى هذا بلويس السادس عشر ذلك الملك المسكين الذى قال عنه بعض المؤرخين إنه ورث عن أسلافه الثورة والعرش معاً ؛ فلقد تجمعت عوامل الثورة الفرنسية قبل عهده ، وما زالت تنمو وتتزايد ، وما زالت تلك الأقلام الجبارة أقلام فلتير وروسو ومنتسكيو وأضرابهم تحدوها وتمهد الطريق لها حتى جاء عهد ذلك الملك فاضطرب البركان ثم انفجر فكانت الرجفة التى زلزلت فرنسا زلزالاً شديداً

وأرى توفيقاً قد ورث عن سلفه كذلك العرش والثورة ، فلقد تجمعت عوامل الثورة العرابية فى عهد ذلك السلطان ، ثم راحت تحدوها وتمهد لها الطريق أقلام جمال الدين وتلاميذه حتى جاء عهد توفيق فانبعثت الرجفة !

لم تكن الثورة العرابية حركة عسكرية فحسب كما يحلو لكثير من المؤرخين أن يصوروها عن عمد أو عن غفلة ، وإن الذين يفعلون ذلك منهم ليأتون من ضروب الخطأ ما نعجب كيف يحملون على قبوله أنفسهم وعقولهم ، وإنما كانت الثورة العرابية إذا أردنا وصفها فى جملة: التقاء الحركتين الوطنية والعسكرية واندماجهما .

فلما ذهب عرابى إلى الخديو على رأس جنده ذهب يحمل إليه مطالب الجيش ومطالب الأمة معاً ، ومن ذلك الوقت صار سلاح الثورة السيف وقد كان سلاحها القلم ، أو بعبارة أخرى حارت قيادتها بين السيف والقلم !

أخذت انجلترة وفرنسا تتنافسان فى بسط نفوذهما فى مصر منذ حملة بونابرت ؛ ولكنهما وجدتا فى محمد على رجلاً لا كالرجال عند سلطانه لا يفقد ذلك السلطان ، فاكتفت أولاهما بالسعى إلى تحطيمه ، وفرحت الثانية بمصاحبته .

وجاء عهد إسماعيل ، وفتحت قناة السويس ، وازداد مركز مصر بذلك خطراً ، فنصبت كل من الدولتين شباكها وعولت كل منهما أن تسيطر على مصر من طريق المال أولاً ثم من طريق التدخل السياسى ثانياً .

وراح اسماعيل يستدين ويسرف فى الاستدانة حتى تراكمت على مصر الديون . ولما أرادت مصر أن تجد لمشكلتها المالية حلاً سنحت الفرصة لانجلترة فراحت تتدخل فى شئون مصر وتتربص بها الدوائر .

وما هى إلا سنوات معدودة ثم منيت البلاد بالمراقبة الثنائية ، وأصبح أمر داخلها ومنصرفها فى أيدى المراقبين الأجنبيين . ثم نظرت مصر فإذا وزير ماليتها انجليزى ، وإذا وزير الأشغال فيها فرنسى ، وإذا مصالحها تمتلئ بالموظفين من الأجانب يتمتعون فيها بالمرتبات العالية ، وإن أهلها لتثقل كواهلهم الأعباء حتى يضيقوا بالحياة .

واشتدت الضائقة على الأهلين لكثرة ما كانوا يؤدونه من

الضرائب ؛ وأحس المتعلمون منهم أنهم خرجوا من حكم الخديو المطلق ليدخلوا فى نير الأجانب الذين لا تعرف قلوبهم الرحمة .

وهبط السيد جمال الدين مصر يبث فيها مبادئه ، ويحمل إليها قبسه ، وكان جمال ذلك الرجل الذى أطلعه الشرق ليضيفه إلى كواكبه الزهر، يرى أن علة الملل فى هذا الشرق المغلوب على أمره أن شعوبه سليبة الإرادة : تحكم على رغمها ، وتسخر لحساب الحاكمين ؛ ولا مخرج لها إلا أن تعود حرة كما كانت من قبل حرة ؛ ولن يكون هذا إلا أن تقوم الشورى مكان الاستبداد وأن ينسخ نور العلم ما تراكم فى الشرق من ظلمات بعضها فوق بعض .

وكانت التربة فى مصر صالحة لبذوره فنمت نمواً سريعاً يحمل على الدهشة ؛ فما أسرع ما ظهرت فى البلاد حركة وطنية كأعظم وأجل ما تكون الحركات القومية ؛ وراح تلاميذ جمال يذيعون فى البلاد مبادئه . يقول فى ذلك الشيخ محمد عبده أنبغ تلاميذه وأحبهم إليه : « وكان طلبة العلم — طلبة جمال الدين — ينتقلون بمـا يكتبونه من تلك المعارف إلى بلادهم أيام البطالة ، والزائرون يذهبون بما ينالونه إلى أحيائهم ، فاستيقظت مشاعر ، وانتبهت عقول ، وخف حجاب الغفلة فى أطراف متعددة من البلاد خصوصاً فى القاهرة » .

وظهرت فى تلك الأيام الصحافة العربية ، وراح الناس يقرأون فيها نفثات الوطنية ، وأخذت تهب عليهم من بين سطورها نسمات الحرية ، والتمع لهم فيها وميضها ، فانتعشت أرواحهم وهفت إلى الانطلاق من الأسر قلوبهم .

وأدى اتصال المصريين بالأجانب إلى تتبع الأنباء العـالمية فى الحرب والسياسة . فزادت معرفتهم بأحوال العالم وقازنوا بين الشعوب الحرة وبين أنفسهم ، وراحوا يستنبطون أسباب ما باتوا فيه من شقاء وذلة .

واهتدى الناس إلى منهجهم فعرفوا أن منجاتهم فى أن يتخلصوا من الحكم المطلق ومن نفوذ الأجانب جميعاً ، وظهر فيهم الزعماء فراحوا يعقدون الاجتماعات ويتدارسون أمرهم بينهم ، وظاهرهم الخديو آخر الأمر فأصابوا حظاً كبيراً من النجاح ، ورأى المصريون لأول مرة فى تاريخهم وزارة وطنية تخضع لمشيئة مجلس يجلس فيه فريق منهم يعبرون عن مشيئتهم

ولكن المصريين ما لبثوا أن فجعوا فى آمالهم بتدخل الدولتين تدخلاً جريئاً فى شئونهم أدى إلى عزل الخديو وتركهم ذاهلين ، تتنازع أفئدتهم عوامل الحنق والخوف والتشاؤم من المستقبل

وأسلمت قيادة السفينة إلى توفيق ، فما كادت تسير حتى اكتنفتها الرياح الهوج ، وقامت أمامها العقبات من كل جانب ؛ فها هم أولاء المصريون تتأجج نيران الحقد فى قلوبهم على الأجانب ولن يطيقوا بعـد اليوم أى جنوح إليهم ، وها هى ذى انجلترة تتحفز وتتربص ، ثم ها هى ذى فرنسا تتحين الفرص لتتغلب على منافستها .. وهناك تركيا جاءت آخر الأمر تطلب أن تعيد سلطانها فى مصر سيرته الأولى فتردها الدولتان المتنافستان على عقبيها

والربان غير عليم بالسياسة وأنوائها ، ولـكنه على الرغم من ذلك راح يستغنى عن أعلم رجاله بها ، فتخلص من شريف وهو أحوج ما يكون إليه ؛ وتنكر للحركة الوطنيـة وكان حقيقاً أن يعطف عليها عسى أن يحبه الوطنيون وعسى أن يحملهم هذا الحب على تناسى ما لحق بمنصب الخديوية من هوان صغر به فى أعينهم ؛ ولـكن توفيقاً غفل عن هذا أو تغافل عنه لما رآه من إقصاء أبيه عن منصبه على ما كان له فيه من جاه وقوة

وحل رياض محل شريف فآلم ذلك دعاة الحركة الوطنيـة وأزعجهم أن يروا رياضاً يجارى الخديو فى استكثار الدستور على المصريين فيقنع بما لا يقنع به وطنى مكتفياً بمبدأ مسؤولية الوزارة عن أعمالها مستغنياً عن مجلس شورى النواب الذى يحرص عليه الوطنيون كل الحرص

وجاء قانون التصفية فازداد الوطنيون به آلاماً على آلامهم ، ورأوا ما فيه من غبن شديد يتجلى فى إلغاء دين المقابلة وقد أخذ من جيوبهم كما رأوا ما فيه ما هو أكثر من الغبن ألا وهو عدم التنازل عن شىء من الدين وهم يعلمون كيف كانت تقترض تلك الأموال ومبلغ ما كان يصل مصر منها ؛ وهم يعلمون كذلك مجازفة الأجانب بأموالهم مما يحملهم كثيراً من المسئولية . هذا إلى أنهم رأوا مرتبات الموظفين من الأجانب فى الحكومة المصرية تبقى على حالها من الارتفاع فلم يدر بخلد من قاموا بالتصفية أن يراعوا ذلك فى قرارهم فينزلوا بها إلى الحد اللائق

تلك هى الحركة الوطنية أو تلك هى نذر الرجفة . أما الحركة العسكرية فأول ما نتحدث به عنها أنها بدأت كذلك فى عهد اسماعيل وتجلى أول مظهر من مظاهرها فى تلك الحركة التى اعتـدى فيها فريق من الضباط على نوبار أمام وزارة المالية عام ١٨٧٨ م . وكان ما دفع الضباط إلى تلك الحركة ما لحقهم بسبب الارتباك من الاستغناء

عن عدد منهم ومن تأخر مرتباتهم عنهم بينما كان الجراكسة فى الجيش لا يلحق بهم شىء من هذا ...

ولقد استغنى عن عدد كبير من الجند فى أوائل عهد توفيق حتى نزل عدد الجيش المصرى عما اتفق عليه أخيراً فى بداية هذا العهد . وولى وزارة الجهادية فى حكومة رياض عثمان رفقى الجركسى فكأنما جعل أساس سياسته الكيد للمصريين ما وسعه الكيد؛ فلقد راح يذيقهم من نكاله بقدر ما راح يفيض على الجركس من عطف وإحسان . ولم يكن ذلك عجيباً من جانبه ففى دمه ما فى دم جنسه من بغض قديم للمصريين الذين كانوا فى رأيهم فلاحين لا يصلحون إلا ليكونوا عبيداً

وكان طبيعياً أن تقتصر الترقيات فى الجيش على الجركس . وراح عثمان رفقى يعد مشروع قانون يمنع به ترقية الجند من تحت السلاح لكى يبقى العنصر الجركسى فى الجيش هو العنصر السائد . أما عن كبار الضباط فقد بدأ بقصيهم عن مراكزهم كما حدث فى أمر احمد بك عبد الغفار قائمقام السوارى إذ فصله رفقى وعين مكانه أحد الجراكسة ، وكما حدث فى نقل عبد العال حلمى إلى عمل فى الديوان ووضع جركسى آخر طاعن فى السن محله

أما عن الجند فقد كانت الحكومة تسخرهم فى أعمال لا تمت إلى الجندية كحفر الترع والزراعة فى أراضى الخديو وغير ذلك . ومما يذكر عن عرابى هنا أنه عارض معارضة شديدة فى أن يعمل جنوده فى حفر الرياح التوفيقى ، وهو موقف من مواقف شجاعته ، تلك الشجاعة التى يأبى خصومه أبداً إلا أن يروها تهوراً ، والتى نراها فى أكثر الأحوال على خير ما تكون شجاعة الرجال ذوى الحمية والإخلاص ... وأى مأرب لعرابى فى هذا الموقف ؟ وفيم تكون معارضته فى أن يسخر جنده فى مثل تلك الأعمال إن لم يكن مبعثها الإنصاف والغيرة ؟ وما يكون إنصافه وغيرته فى موقف كهذا إلا بسالة وإقداماً

تلك هى المشاكل العسكرية . ولو أن تلك المشاكل عولجت بما يقتضيه العدل لما قدر للحركتين أن تلتقيا فتكون منهما تلك الثورة التى اقترنت باسم عرابى . ولكن كان دون علاجها عقبات ؛ فهناك تعصب رفقى وغطرسته ، وجهل رياض بالشؤون الحربية وترفعه عن هؤلاء الفلاحين من الجند لأنه يترفع عن الفلاحين جميعاً . ثم هناك دسائس الجراكسة فى الجيش وكيدهم للمصريين ذلك الكيد الذى لا يفتر

وكان عرابى فى أوائل عهد توفيق قد أخذ يتصل برجال الحركة الوطنية ، أو على الأقل أخذ يتصل بالحركة نفسها ؛ وهو من أول نشأته متحمس لبنى وطنه ، وشارك عرابى فى هذه النزعة الوطنية بعض ضباط الجيش . ولا غرابة فى هذا فإن المسألة العسكرية فى وضعها هذا كان لا بد أن تدب إليها الروح الوطنية فتكون فى مظهرها أمراً متعلقاً بالجيش بينما هى فى الواقع كانت شعبة من تلك الحركة العامة التى كانت تشغل أذهان المصريين منذ أواخر عهد اسماعيل

وكان طبيعياً أن تبدأ المتاعب من جانب الجيش وقد أخذت رجال الحركة الوطنية حيرة منذ أن استقال شريف . ولقد كانت مسئولية الحكومة عن هذه المتاعب وتعقدها مسئولية جسيمة هى عندى من أكبر سوءات ذلك العهد ...

على أن عرابياً نفسه قد رقى فى أول عهد توفيق إلى مرتبة أميرالاى ، ومع ذلك فقد أدت سياسة الحكومة أو على الأصح سياسة رفقى أن يكون هو على رأس المتذمرين

بدأت حركة التذمر بأن قدم بعض الضباط المصريين شكوى إلى وزارة الجهادية عن مرتبات لهم متأخرة، وكان عرابى ممن وقعوا على هذه الشكوى . ونظرت الوزارة فى الأمر، وكان قنصلا انجلترة وفرنسا قد تداخلا فى الأمر، وألفت لجنة للتحقيق أقرت مطالب الضباط ، وكان ذلك فى مايو سنة ١٨٨٠ ، ولكن رياضاً ووزيره رفقى رأيا فى ذلك العمل القانونى حركة جريئة وخروجاً على النظام !

(يتبع) **الخفيف**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٨١ — لقد أحدثتم بدعة وظلما

فى (الاعتصام) للشاطبى : ذُكر لعبد الله بن مسعود أن ناساً بالكوفة يسبحون بالحصى فى المسجد . فأتاهم وقد كوّم كل رجل منهم بين يديه كُومَاً (١) من حصى . فلم يزل يحصبهم (٢) بالحصى حتى أخرجهم من المسجد ، ويقول : لقد أحدثتم بدعة وظلماً

٣٨٢ — البدعة تعتبر فى الشر

فى (محاضرات الأدباء) للراغب : قُدّم إلى مالك بن أنس حيث يراه المهدى (العباسى) — الماء ليغسل يده للطعام ، فقال : هذا بدعة

فقال المهدى : يا أبا عبد الله ، البدعة تعتبر فى الشر ، فأما أبواب الخيرات فإحداثها سنة

٣٨٣ — لا جرم أنكم تأكلونى

الصفدى : قال بعض الرؤساء لشهاب الدين القوصى : أنت عندنا مثل الأب ، وشدّد الباء .

فقال لا جرم (٣) إنكم تأكلونى (٤) .

قلت : لا يخفى ما فى هذا التندير من اللطف لأن الأب مشدد الباء هو المرعى (٥) . وقال بعضهم هو للدواب مثل الخبز للأناسى ومن يشدد الباء من الأب لا يكن إلا دابة ...

(١) كوم : جمع كومة بفتح الكاف وضمها

(٢) يحصبهم : يرجمهم . وهو بكسر العين وبالضم فى لغة

(٣) لا جرم : نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم أى لا قطع (الكشاف)

(٤) يجوز أن تحذف النون المسماة بنون الوقاية فى الأفعال الخمسة وباب إن ، غالبة مع ليت قليلة مع لعل

(٥) الأب المرعى لأنه يؤب أى يؤم وينتجع ، والأب والأم أخوان (الكشاف) كل ما أخرجت الأرض من النبات ، رطبه ويابسه (اللسان التاج)

قلت : ومما وضعه أهل الأهواء أن أبا بكر وعمر لم يعرفا ماهو الأب ، وروبت روايتان كاذبتان فى ذلك ، واطمأن إليهما مفسرون ولغويون كثيرون وسطروهما فى تفاسيرهم ومصنفاتهم . والروايتان هما هاتان : سئل أبو بكر عن الأب فقال : أى سماء تظلنى وأى أرض تقلني إذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به . وقرأها عمر في الآية فقال : كل هذا قد عرفنا فما الأب ؟ ثم رفض عصا كانت بيده وقال : هذا لعمر الله التكلف ، وما عليك يا ابن أم عمر ألا تدرى ما الأب ثم قال : اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا ، فدعوه

٣٨٤ — حتى يعذب نفسه هذا التعذيب

ذُكر عند أعرابى رجل بشدة الاجتهاد وكثرة الصوم وطول الصلاة ، فقال : هذا رجل سوء ، وما يظن هذا أن الله يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب

٣٨٥ — فقلت لعلها

كان عروة بن أذينة نازلاً فى دار عروة بن عبيد الله بالعقيق فسمعه ينشد :

إن التى زعمت فؤادك ملّها ... خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها ... بلباقة فأدقها وأجلّها
حجبت تحيتها فقلت لصاحبى ... ما كان أكثرها لنا وأقلها !
فدنا فقال : لعلها معذورة ... من أجل رقبتها فقلت : لعلها
وإذا وجدت لها وساوس سلوة ... شفع الضمير إلى الفؤاد فسلّها

قال عروة بن عبد الله : فأتانى أبو السائب المخزومى وأنا فى دارى ، فقلت له بعد الترحيب : هل بدت لك حاجة ؟ فقال : نعم ، أبيات لعروة بن أذينة بلغنى أنك سمعتها منه . فقلت له : وأى أبيات ؟ فقال : وهل يخفى القمر ؟ ! قوله (إن التى زعمت فؤادك ملها) فأنشدته إياها فلما بلغت إلى قوله : (فقلت لعلها) قال : أحسن والله ، هذا (والله) الدائم العهد ، الصادق الصبابة ، لا الذى يقول :

إن كان أهلك يمنعونك رغبة ... عنى فأهلى بى أضن وأرغب

إذهب لا صحبك الله ولا وسع عليك — يعنى قائل هذا البيت ، لقد عدا أعرابى طوره ، وإنى لأرجو أن يغفر الله لصاحبك (يعنى عروة) لحسن ظنه بها ، وطلبه العذر لها . قال عروة بن عبد الله : فعرضت عليه الطعام ، فقال : لا والله ، ما كنت لآكل بهذه الأبيات طعاماً إلى الليل

٣٨٦ — من حرقة النار أم من فرقة العسل

أبو إسحق إبرهيم بن عثمان الغزى :

أشكو إليكم هموماً لا أبينها ... ليسلم الناس من عذري ومن عذلي
كالشمع يبكي ولا يُدرى أدمعه ... من حرقة النار أم من فرقة العسل

٣٨٧ — رسالة ...!

في (طبقات الشافعية الكبرى) : ركب اسحق بن راهويه دين فخرج من مرو وجاء نيسابور، فكلم أصحابُ الحديث يحيى بن يحيى في أمر إسحق ، فقال : ما تريدون ؟ قالوا : تكتب إلى عبد الله بن طاهر رقعة — وكان عبد الله أمير خراسان وكان بنيسابور — فقال يحيى : ما كتبت إليه قط ، فألحوا عليه فكتب في رقعة :

« إلى عبد الله بن طاهر . أبو يعقوب إسحق بن ابرهيم رجل من أهل العلم والصلاح »

فحمل إسحق الرقعة إلى عبد الله بن طاهر، فلما جاء إلى الباب قال للحاجب: معي رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير . فدخل الحاجب فقال : رجل بالباب زعم أن معه رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير ، فقال : يحيى بن يحيى ؟ قال : نعم ، قال : أدخله ؛ فدخل إسحق وناوله الرقعة ، فأخذها عبد الله وقبلها ، وأقعد إسحق بجنبه ، وقضى دينه ثلاثين ألف درهم ، وصيّره من ندمائه[1]

٣٨٨ — كأنه من كبدى مقدود

قال على بن عبد الله بن سعد : أنشدت دعبلا قصيدة بكر بن خارجة في عيسى بن البراء النصراني الحربي :

زنّاره في خصره معقود ... كأنه من كبدى مقدود

فقال : والله ما أعلمني حسدت أحداً على شعر كما حسدت بكرا على قوله : (كأنه من كبدى مقدود)

(١) أي من رفقائه وأصحابه في (التاج) : نادمه جالسه على الشراب ، هذا هو الأصل ثم استعمل في كل مسامرة . في (ابن عساكر) : ابن راهويه أحد أئمة المسلمين وأعلام الدين ، في (ميزان الاعتدال) : سئل أحمد بن حنبل عن إسحق فقال : مثل إسحق يسأل عنه ؟ إسحق عندنا إمام من أئمة المسلمين

أمل العرب الراحل

للأستاذ خليل هنداوي

« قد خططنا للمعالي مضجعا ... ودفنا العز والمجد معا »
فيصلٌ ما إن نسينا يومه ... فاجعلوا يوماً لغازي أروعا
فيصل ما نضبت أدمعنا ... فامزجوا بالدم هذي الأدمعا
لم يكن مصرع غازي واحداً ... إنه كان لشعب مصرعا
ليس يدرى من نعاه أنه ... قد نعى العرب جميعاً إذ نعى
أيها الناعي رويداً إنها ... لأمانيٌ تهاوت صُرّعا
إنه بنيان قوم ينحني ... إنه مأمل شعب ودعا
كفنوا غازي بأبراد العلا ... واجعلوا مثوًى لغازي الأضلعا
مفزع العُرب إذا ما فزعوا ... من لهم بعدك يبقى مفزعا ؟
أصبح الشعب يتيماً واجماً ... أسفاً ، والدار أمست بلقعا
والأمانيُّ مضت تبكي فتى ... ضم كشحيه عليها أجمعا
فهي تمشي رامقات نعشه ... تذرف الدمع وتروى المدمعا
والمروءات على جبهته ... يتهاوين حزانى وُقعا
والسموات على مصرعه ... مقلة ذارفة لن تقلعا

* * *

أبت الأيام إلا حربنا ... وأبينا أبداً أن نخضعا
فعلى كل ثرًى يجرى دم ... الثرى بالدم أمسى مترعا
وعلى كل سبيل فدية ... لم يضيمها الذى قد ضيّعا
وعلى كل شهيد بسمة ... هي للحق إذا الحق وعى
وعلى كل حمًى تضحية ... حدّث الربعُ عنها الربعا
والشهادات على أعناقنا ... لا ترى صرفاً ولا منقطعا
كل هذا مرحباً ! أهلاً به ... إن يكن يحمل صبحاً ألمعا
« مرحباً بالخطب يبلونا إذا ... كانت العلياء فيه المطلعا »

* * *

إن يمت في كل يوم مبدع ... من بني العُرب خلقنا مبدعا
لا يفت الدهر من عزمتنا ... لا يلاقي اليأس فينا موضعا
قد نذرنا للمعالي نفسنا ... واستطبنا الموت فيها مشرعا
لا نرى إلا العوالي مركباً ... لا نري إلا المعالي مطمعا

« دير الزور » ... خليل هنداوي



ترى ماوراء هذا الكون؟

علاقة بين الكون المحدود وأصغر ما فيه

للدكتور محمد محمود غالى

بحث الرجل منذ القدم عن معرفة الكون فكان يُقسم النجوم التى يراها فى السماء إلى مجموعات تشبه على وجه التقريب بعض الحيوان أو الأشياء . وقد وُجدت فى السويد أشكال من هذه المجموعات الشبيهة بشكل الحيوان ، منقوشة على الحجر منذ العصر البرنزى . واليوم يُقسم الفلكيون فى مؤتمراتهم السماء إلى ٨٩ مجموعة Constellation تجد أسماءها فى الدليل الفلكى . وقد كان « باير » Bayer فى سنة ١٦٠٣ أول من أطلق الحروف الإغريقية الأولى على أسماء النجوم ، لكى يُفرِّق بين نجوم المجموعات الكوكبية المختلفة . ولم يلبث أن تقدم علم الفلك تقدماً جعل هذه الحروف الإغريقية لا تكفى هذه المسميات لكثرتها ؛ فلجأ العلماء إلى الأرقام ، وأصبحت النجوم تحمل الرقم الوارد من الدليل الفلكى . وتقدم المنظار الفلكى كما تقدمت الطريقة الفوتوغرافية ، فأصبح الدليل يحوى مليوناً من النجوم ، وتقترب معارفنا الآن من عشرات الملايين .

جُل بنظرك فى الشكل الأول تَرَ جزءاً من المجرة فى برج الثور[1] يدلك على بقعة صغيرة من عالمنا الذى يحوى مئات ألوف الملايين من النجوم والأجرام . ثم تأمل الشكل الثانى وهو السديم الشبكى فى الدجاجة[2] تَرَ واحداً من ملايين العوالم الأخرى المكونة للكون — ثم تصور جسما صغيراً فى الكون مثل إحدى أشواك التين ؛ وتصور أصغر ما يعرفه العلماء من الجسيمات المكونة لهذه الشوكة، وهو الإلكترون الذى تحوى الشوكة الصغيرة ملايين منه . إن عدد ألكترونات الكون يتعدى كل خيال، ومع ذلك فقد تمكن العلماء من الوصول إلى علاقات معقولة بين الكون في مجموعه وبين الألكترون المتناهى فى الصغر . وسأحاول فى هذه الأسطر أن أحيط القارئ علماً بالطرق التى يتبعها العلماء فى هذا السبيل

***

ذكرنا أن العلم التجريبى قد أثبت ابتعاد جميع العوالم عنا ، وابتعاد كل واحد منها عن الآخر بسرعة تزيد على ٥٠٠ كيلو متر فى الثانية لكل ٣٫٢٦ مليون سنة ضوئية ، وذكرنا أن النظريات الأولى للعالم دى ستير كانت تتنبأ بتمدد الكون، وأن النظريات عامة وإن عرفت تمدد الكون لم تعين فى المبدأ الدرجة التى يتمدد بها . وأضيف اليوم أن العلم النظرى الحديث لا يحتم الفكرة القائلة بابتعاد جميع العوالم بعضها عن بعض فحسب ، بل يُعين السرعة التى تبتعد بها هذه العوالم كما يُعينها العلم التجريبى .

على أن النسبية وحدها لا تزودنا بهذه المعلومات الجديدة، ولكن للعلم منابع أخرى وجدت طريقها بعد النسبية لأينشتاين؛ وأهم هذه المنابع اليوم الميكانيكا الموجية التى أسسها العالم الشاب دى بروى De Broglie الحائز على جائزة نوبل ، أستاذ السربون وعضو المجمع العلمى الفرنسى ؛ وباتباع الطريق العلمى الجديد نجد — مع إهمال القوة الجاذبية بين العوالم إذ هناك مايبرر إهمالها علمياً — إزاء قوة التنافر للكون ، أن سرعة ابتعاد العوالم بعضها عن بعض تقع بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ كيلو متر فى الثانية لكل ٣٫٢٦ مليون سنة ضوئية .

ومما يلفت النظر أنه للوصول إلى هذه النتيجة الحسابية التى تتفق مع النتائج العملية لم يلجأ الباحثون إلى أى عمل تجريبى أو إلى الأرصاد الفلكية

(١) و (٢) الصورتان واردتان فى كتاب حديث سبق التنويه عنه للأستاذ بريا Bruhat أستاذ السوربون وقد اعتمدنا فى تعرف التسمية العربية المقابلة للافرنجية على صديقنا الأستاذ سماحة وكيل مرصد حلوان الذي عنى بنشر الألفاظ العربية لبعض أسماء النجوم أو المجموعات المعروفة لدى العرب فى النشرة ٣٩ بتاريخ سنة ١٩٣٦ من نشرات مصلحة الطبيعيات ولم يرد السديم الشبكى في الدجاجة فى هذه النشرة ، لذلك اتفقنا معا على هذه التسمية الجديدة

ويجدر بالذكر أن كل ما يتعلق بحساب الـكون أو بحساب الألـكترون يرتبط إلى حد كبير بتعيين سرعة ابتعاد العوالم بعضها عن بعض . على أن هذا النجاح الأخير الذى يظهر فى الاتفاق بين العلم النظري والعلم التجريبي لم يقف عند هذا الحد ، بل استنبط من العلوم النظرية علاقة بين البروتون والألـكترون على وجه خاص بين كتلتيهما . ولـكى يفهم القارئ شيئاً عن البروتون نذكر أنه بين مكونات المادة . فذرة غاز الهيدروجين مثلاً مكونة من مركز رئيسى هو بروتون واحد يدور حوله إلـكترون واحد كما يدور القمر حول الأرض . ومن ثم أضحى العلماء بفضل تقدم الميكانيكا الموجية بصدد نظريات تعين أمرين فى آن واحد :

الأمر الأول : سرعة تمدد الـكون ومنها القوة التنافرية ، كذلك الثابت الـكونى .

الأمر الثانى : النسبة بين كتلة البروتون والألـكترون

إلى هنا لا زال يبعد عن ذهن القارىء العلاقة بين الـكون والألـكترون، كما يبعد عن ذهنه أيضاً علاقة يرى فيها وزن الـكون. ولـكى أعطى القارىء فـكرة سريعة عن هـذا أدله على وجود علاقتين توصل لهما العالم الـكبير أينشتاين فى سنة ١٩٢٦ . يرى فى إحدى هاتين العلاقتين كتلة الـكون .

(الأولى) علاقة تربط نصف قطر الحيز عند مبدأ تـكوين الـكون بالثابت الـكونى[1]

(الثانية) علاقة تربط ثابت الجاذبية (Constants de Gravitation) ، وكتلة الـكون وسرعة الضوء مع نصف قطر الحيز السابق الذكر .

كنت أود أن أطلع القارئ على شىء من هذه العلاقات ، ولـكن تدخل معظمها فى الواقع حسابات لم يتعودها ومعادلات من الصعب تبسيط مدلولها . فمثلاً بينما حجم كرة نصف قطرها نو يعادل $\frac{4}{3}$ ط نو^{3} (ط النسبة التقريبية) فإن حجم حيز كروى له نفس نصف القطر هو ٢ط^{2} نو^{3} أى ٤ر٧١ حجم كرة عادية . فالحيز الـكروى ليس كرة معتادة بل غلافا لـكرة زائدة Hypersphere ذات أربعة أبعاد، وفى كل هذه الأبحاث يفرقون بين نصف قطر الحيز الفارغ الذى هو متوسط أنصاف أقطار مختلفة وفق التوزيع المادى للـكون من نصف قطر الـكون قبل التمدد ، وفى هذه الأبحاث نرى أن تقوس المناطق الفارغة فى الـكون أقل من المناطق الآهلة بالمادة . كل هذه الاعتبارات التى تربط نصف قطر التقوس الـكروى لقطاع ما ذى ثلاثة أبعاد فى مجال Continuum ذى أربعة أبعاد للحيز والزمن الخيالى ، صعب على القارئ الدخول



Cliché de Kerolyr
Observatoire de Forcalquier

Voie Lactée dans le Taureau

ش ١ (جزء من المجرة فى برج الثور)

فى تفاصيلها ، ولـكن يهمنى أن يعلم أن العلماء توصلوا إلى علاقات تجد فيها نصف قطر الـكون المتقدم وسرعة ابتعاد العوالم وسرعة الضوء أو علاقات بين نصف قطر الـكون وعدد الألـكترونات وشحنة الألـكترون وسرعة الضوء ... الخ . ولـكننى لا أترك هذا الجزء دون أن أذكر أن معادلة من أهم المعادلات الأساسية فى هذه الأبحاث تلك المعادلة الموجية الخاصة بذرة الهيدروجين Equatian ondulatiore d'un atome d'hydrogene أى لمجموعة مكونة من بروتون واحد ، وألـكترون واحد مرتبط به كما قدمنا ، هذه المعادلة تعين حجم الذرة Dimension وتوزيع شحنتها الـكهربائية، ولا أذكر هنا كيف أدخل العلماء وحدة الطول الجديدة التى هى

(١) قد يهم بعض القراء معرفة هذه العلاقة . إذا رمزنا بالحرف أ للثابت الـكونى وبالحرف نوم لنصف قطر الـكون عند بدء تكوين الـكون فإن أينشتاين يدلنا على أن أ = $\frac{1}{\text{نوم}^{2}}$

نصف قطر الكون فى معظم هذه العلاقات ، ولكن أرجو أن يستقر فى ذهن القارىء أن كل هذه الموضوعات تكوّن فى وقتنا الحاضر وحدة فى العلوم ، تستمد قوتها من الناحيتين العملية والنظرية معاً ، وأنه بالاستقراء طوراً ، والبحث التجريبي تارة، توصلوا لكثير من العلاقات التى تربط الكون بأصغر ما فيه والتى سبق أن أعطينا النتائج الخاصة بها فى جدول سابق .

* * *

كل ما أود أن يعلق بذهن القارىء أن يعرف أن الاستنتاج العلمى لايقف عند المحسوسات . وسبق أن قدمت أننا لسنا بحاجة لنرى الليل والنهار لنعرف دورة الأرض ، كذلك لسنا بحاجة لنحصى أجرام السماء لنعرف وزن الكون ، وعدد ما يحويه من الكترونات ، وضربت للقارىء مثلاً بعمل فوكوه عند ما استدل على دورة الأرض من بندوله الذى علقه من قبة البانتيون .

وأعود فأقول : لو أن المريخ ، وهو الذى يحجب الضوء عنه سحب كثيفة ، كان مسكوناً بكائنات تفكر مثلنا نسميها المريخيين لما استحال عليهم أن يعرفوا أن سيارهم أيضاً يدور حول نفسه ، كما تدور الأرض حول نفسها ، ولاستطاعوا أن يؤكدوا ذلك برغم ما يحيط به من سحب كثيفة تحجب عن أهله ضوء الشمس، وهى سحب لم نعهد مثلها حول الأرض، بل لما استحال عليهم أن يحددوا فترة الليل والنهار الخاصة بهم ، فما عليهم إذا كانوا ينعمون بدرجة ذكائنا ، وكانت لهم طريقتنا فى استقراء الأشياء ، إلا أن يعلقوا كرة من خيط طويل يدعونها تهتز ، فإنهم سيدرون كون أن الكرة لاتهتز فحسب ، بل إن المستوى الذى تهتز فيه يدور حول نفسه ، وبحساب بسيط يتكن للمريخيين إذن أن يحددوا فترتى الليل والنهار

* * *

عسى أن يكون قد علق بذهن القارىء بعد هذا الجهد الذى واصلناه مدى أربع مقالات عن «الكون يكبر» ثلاثة أمور: الأول أننا أبناء كون محدود مكون من عوالم كلها على حيز وغلاف كروى. الثانى : أن هذا الغلاف الكروى يتسع ويتمدد على نحو كرة من المطاط ، وأن ثمة قوة تدعو لهذا التمدد الذى يجعل كل العوالم يبتعد بعضها عن بعض ، وأننا الآن فى هذه المرحلة من الابتعاد والتمدد التى بدأت منذ بلايين من السنين .

الثالث أن ثمة علاقات ثابتة بين الكون فى مجموعه وأصغر ما فيه وهو الألكترون

وأضيف إلى هذه الأمور الثلاثة أنه ليس لنا أن نحاول تعرف شىء خارج عن هذا الكون المحدود

* * *

هذا هو الكون وفق أحدث الآراء . وقد يتساءل فريق من القراء عما وراء هذا الكون المحدود. وقد يجيز هذا الفريق لنفسه أن يتصور عوالم خارجة عن نطاقه ، ولعل السبب فى ذلك هو مطالبتنا له بالاعتراف أن الكون محدود



Cliché de Kerolyr
Observatoire de Forcalquier
Nébuleuse de la Dentelle du Cygne (partie sud)

ش ٢ — الجزء الجنوبى من السديم الشكى فى الدجاجة
(كليشيه كيرولير مرصد فوركالكييه)

وليس لدينا اليوم جواب على هذا سوى أن نكرر أن الكون الذى نرى ونسمع ونتحرك فيه ونعرف منه قوانيننا الطبيعية الحالية هو كون محدود ليس لنا أن نتساءل عن غيره ما دامت الظواهر الطبيعية التى نعرفها تنتشر فى مثل هذا الكون وكل شىء يدل على أنها لا تتعداه . ولكن ما ذا بعد الكون ؟ سؤال يتردد على الذهن !

* * *

إن نملة تفترضها متأملة خرجت لأول مرة من كومة صغيرة من الرمل وجدت نفسها بطريق المصادفة إزاء ثقب في سجاد مفروش في سرادق فسيح مقام في جهة قضى نحبه فيها رجل له بين أهله مكانة ، فمد الأهل الأبسطة والمقاعد ، وأضاءوا الأنوار وازدحم المكان بالمعزين

تجولت النملة المتأملة الحديثة العهد بالحياة على هذه الأبسطة المتسعة تائهة لا تهتدى إلى المكمن الذى خرجت منه ، ترى أنواراً تعلوها ، وأبسطة ممتدة أمامها ، وأناساً يروحون ويغدون ، وتسمع فقيهاً يرتل الآيات بصوت رخيم ، وترى نادلا يقدم قهوة للقادمين ، وكلما مر الوقت انطبعت هذه الصور فى ذهن النملة الحائرة

لنفرض بعد ذلك أنه لسوء حظ النملة التعسة انطفأت الحياة فيها بأن داستها أقدام المعزين ، فإنه يغلب على الظن أن الدنيا عندها هى فضاء تضيئه أنوار ، ويحيط به سرادق ، وتغطى أرضه أبسطة ، وفقيه يرتل الآيات ، ونادل يتحرك جيئة وذهابا

إن وجود القاطرة البخارية وحديقة الحيوان ومعرض نيويورك والاستعداد للحرب ، أمر غير معروف لديها ، فكل هذه الأشياء خارجة عن حدود مداركها

قد تكون ملايين السنين التى يقدر الجيولوجيون والطبيعيون أنها الفترة التى مرت على الإنسان منذ وجوده بالنسبة للخليقة كهذه اللحظات بالنسبة للنملة الحائرة ، وقد لا يمثل ميراثنا العلمى الذى لا تتسع له دور كتب العالم قاطبة الوجود فى شىء ، وقد يشبه معارف النملة عن الكون الذى لم تر المسكينة منه إلا ليلة عزاء محصور كل حوادثها بين قطع محدودة من الأقمشة ، ويكون الكون ذو الحيز المتقوس وفق ريمان وأينشتاين ، المتمدد وفق دى ستير وإدنجتون ، المحدود وفق سان وليتر ، ذرة واحدة ، لا نقول بين ملايين ذرات مماثلة لها ، بل بين ملايين أكوان لا يمثل هو فيها شيئاً ، ويكون كوننا مثالا خاطئا لحقيقة الوجود ، بل قد يكون كأحد جسيمات الدخان لمصنع لا نعلم عنه سوى إحدى ذرات دخانه المتصاعد ، ونكون معشر الناس ككائن نفترضه داخل هذا الجسيم من الدخان ، لا يرى إلا ما يكون الجسم الذى هو بداخله . فالقطن الذى يدخل هذا المصنع والوادى الذى زرع فيه هذا القطن ، والنهر الذى رواه ، والمهندس الذى صمم القناطر على هذا النهر؛ كل هذه أمور غير معروفة بالمرة لهذا الكائن الذي افترضناه داخل الجسيم

كم يغلب على ظنى أننا لا نختلف كثيراً عن هذه النملة الحائرة أو عن هذا الكائن السجين !

على أن شيئاً جديداً اكتشفه العلماء يقع داخل هذا الكون المحدود ويتنقل بين أرجاء هذا السجن الفسيح الذى نعيش فى داخله . هذا الشىء يشغل بال العلماء اليوم لقوة اختراقه العجيبة وصفاته النادرة ، ويسمونه الأشعة الكونية ، وهو ما سأجعله موضوع حديثى فى العدد القادم

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة



الإسلام والآداب العامة

آداب تناول الطعام

للآنسة زينب الحكيم

أوضحنا في مقال سابق نشأة (الإتيكيت) وضرورته في الحياة. واليوم نتحدث عن آداب تناول الطعام . وكل ما أرمي إليه هو التذكير بأشياء بسيطة كثيراً ما تغيب عن أذهاننا مراعاتها دون قصد أو لعدم معرفة

وأريد أيضاً أن أوضح عادات بعض البلاد الأجنبية في تناول طعامهم ، ولا سيما أن كثيراً من أهل الشرق يزورون تلك البلاد الآن أكثر مما كانوا يفعلون قبلاً . ومن المستحسن أن يعرف الإنسان عادات الناس حتى لا يضايقهم ولا يضايق نفسه ، كما لا يصح أن يكون عرضة للنقد وفي استطاعته تلافي ذلك

وإني لا أنكر أنه قد أثرت في نفسي بعض الحوادث التي كثيراً ما تحدث من الرجل أو من السيدة أثناء حضورهما الحفلات أو ولائم الغداء أو العشاء . وإني لا أنسى أبداً ذلك السيد وزوجه وقد كانا عروسين جديدين احتفى بهما بعض أقاربهما بمناسبة زفافهما فدعوهما إلى وليمة غداء . كان من بين ألوان الطعام الأكلة المصرية المشهورة (ملوخية) من النوع السائل لا (البوراني) . ولما حان دور أكل الملوخية وضع النادل (السفرجي) ملعقة صغيرة على طرف كل صحن أمام الآكلين لترفع بها الملوخية إلى الفم ثم يؤكل الخبز

لكن السيد العريس لم ينتبه لاستخدام الملعقة ، كما لم يلاحظ كيف يتناول الباقون الملوخية ، فقرصته عروسه في الخفاء ونبهته إلى مراعاة الإتيكيت ، ولكنه استمر يصنع من الخبز ملعقة يرفع بها الملوخية من الصحن إلى فمه . ولم تطق الزوجة المسكينة صبراً على أن يُنتقد زوجها في وليمة شبه رسمية ، فنبهته مرة أخرى بينها وبينه ، ولكنه ثار في هذه المرة ولم ير أن يستمع إليها وقال في صوت مرتفع غاضب : « سيبيني خليني أغمّس »

بالضرورة كان الحادث مضحكا للجميع ، وقد قابلوه ببساطة حتى مرّ بسلام بين الزوجين . ولكنه كان على كل حال إيلاماً من جانب الزوج لزوجته وإحراجاً لهما معاً أمام الحضور مهما تقبلوه

كذلك لا أنسى تلك الآنسة الشرقية التي كانت مسافرة مرة على إحدى البواخر إلى أوربا ، ولما كانت تتناول الشاي حاولت استخدام الشوكة في أكل البسكوت الجاف والخبز المقدد ، وكانت في كل مرة تحاول ذلك ترسل قذيفة إلى وجه الجالس أو الجالسة أمامها أو إلى جانبها مما دل على النقص الشديد في معرفة إتيكيت تناول الطعام

لهذه الحوادث وأشباهها أردت أن أتحدث لحضراتكم عن الغداء في أمريكا ، والعشاء في انجلترا ، وآداب الوجبتين عند العرب .

وليمة الغداء العادي في أمريكا

إذا قارنا الغداء الرسمي في أمريكا بالغداء الرسمي في انجلترا وجدنا أن الغداء الإنجليزي يشبه العشاء الرسمي كثيراً .

أما في أمريكا فتكاد تكون ولائم الغداء مقصورة على السيدات دون الرجال الذين يكونون مشغولين عادة في أعمالهم بمكاتبهم ، ولا يستعملون تلك الولائم لأغراض خاصة ، في حين أن رجال الإنجليز كثيراً ما ينتهزون فرص هذه الولائم لنقاش المسائل المهمة الحاضرة ويتبادلون الآراء في كثير من الأمور

ولهذا تكون ولائم عشائهم خالية من كل ما يجهد العقل ، وإنما تكون أوقات مفاكهة ومرح بريء

ولائم الغداء الأمريكية يدعى لها ببطاقات بسيطة قبل ميعادها بعدد قليل من الأيام ، وتكتب عادة بضمير المخاطب لا بضمير الغائب كما يتبع فى الأحوال المهمة ، وتحدد ساعة الغداء أو لا تحدد فليست هذه مسألة دقيقة كما فى ميعاد وليمة العشاء

طريقة توزيع الطعام على نوعين

إما أن يتناول المدعوات أنفسهن من ألوان الطعام الموضوعة على منضدة جانبية على شكل (بوفيه) ، وتكون الألوان عادة باردة (كلحوم جافة باردة ، وخضر محمرة ، وحلوى الخ)

وإما أن يمر التُّدُل كما فى وليمة العشاء بألوان الطعام الساخن

مائدة الغداء العادى

تكون بمائدة الغداء العادى غير منطاة بغطاء كبير عادة ، وإنما تستخدم أغطية صغيرة من الدنتلة أو التيل المخرم (دُيلن Doilen) كما فى هذا الشكل



وتكون قائمة الغداء ملائمة لفصول السنة (كملاحظة ابن عبد ربه) ، ولا يقدم الشاى أو القهوة مطلقاً فى حجرة المائدة عقب الغداء غير الرسمى . وإذا قدم شىء منها فيكون عقب الطعام مباشرة .

والسيدة المدعوة للغداء العادى لا تبقى بعد تناول الغداء بل تنصرف ، إلا إذا أعدت المضيفة تسلية خاصة بعده .

وإذا استنفد تناول الغداء ساعة مثلاً ، فلا بأس من محادثة ربة المنزل بعد ذلك نحو نصف ساعة ، ثم يجب أن ينصرف الزوار إذ ربما تكون مشغولة بعد الظهر ، ولا يليق أبداً أن يكونوا سبباً فى تأخيرها .

وليمة الغداء الرسمى

تشبه العشاء الرسمى كثيراً فيما عدا استعمال المفارش الصغيرة (ديلن) عوض غطاء المائدة الكبير

ويبدأ بتناول بعض الفاكهة — ثم الحساء ، فسمك مايونيز أو ما شاكله ، وليس السمك ضرورياً ، وبعض الأسر تحذفه

يأتى بعد ذلك الصحن الرئيسى: مثل الديك الرومى أو الدجاج أو الفطائر أو اللحوم مع الخضر ، فأنواع من السلطة ، فالحلوى كالمهلبية أو ما يشبهها كما فى وليمة العشاء . ثم المثلجات كالجيلاتى أو الألمزية

وليست العادة أن يستريح المدعوون بعد الغداء فى الصالون أو أن يتناولوا القهوة فيه ، وإنما تشرب على المائدة ، فإذا كان الطقس مناسباً ورغب المدعوون شربت فى الفرندة . ويحسن ألا تقيم ربة البيت وليمة غداء إذا كانت مشغولة بعد الظهر فى اليوم نفسه ، ولهذا يمكن أن يبقى الزوار وقتاً أطول مما فى حالة الغداء العادى ومن المتبع أن ترتب تسليات كالموسيقى ، وتلقى قطع شعرية ، أو تمثل قطع صغيرة

الملابس

تكون ملابس ولائم الغداء على نسق ثياب بعد الظهر الممتازة للسيدات ، أما ملابس الرجال فمعروفة

هذا ومن أهم ما يراعيه الأمريكان فى ولائمهم الرسمية بوجه عام ، أن يكون فى كشف المدعوين ستة أو ثمانية من المتصادقين وقد يهبط هذا العدد إلى أربعة فقط ، ولكن على أى حال من المهم عندهم مراعاة أنواع المدعوين . كما يراعى عدم زيادة الحضور فى الوليمة على ما تطيقه ربة البيت حتى يمكنها العناية بهم جميعاً وملاحظة ما يناسب مزاج كل منهم

آداب المائدة

أهم الآداب التى يراعيها الأمريكان فى ولائمهم آداب المائدة الصحية . فهم مثلاً يعتبرون الحركات الخشنة أو غير المضبوطة منافية للآداب إذا حصلت أثناء تناول الطعام ، ويعدونها نقص



دراسات فى الفن

النحت فن الصمت

على ذكر معرض مختار

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان من طين فكان الإنسان تجسيداً لما جرى فى علمه تعالى من صوره ، وكان الإنسان مجالاً لطائفة من آيات الله أراد لأمر أن يراها حية على مسرح الكون

هذه حقيقة لا أجبر القارئ على أن يؤمن بها مى وفق ما أرضاه ، وإنما أدعه يؤمن بهـا على هواه ، فإذا كان من أصحاب الدين فهو مى ، وإذا لم يكن منهم فهو مى أيضاً ، ولـكن بعد فرقة قصيرة لا بد أن يلقانى إثرها ليشهد أن الإنسان كان التمثال الذى يرجع إليه المثالون جميعاً مستوحين مستلهمين ، ومتعلمين دارسين ، وباحثين مدققين ، ومعجبين مأخوذين وليشهد أيضاً أن الإنسان ما يزال هو هذا المنبع الذى لم ينضب منذ تعقبه الفن ، وليشهد بعد هذا وذاك أن الإنسان لن ينفك أن يكون المورد الذى يقصد إليه كل من يبهره الفن الناضج الـكامل

هذه هى البداية التى يجب أن نلتقى عندها لنمشى معاً ولننظر بعدها إلى الإنسان — وهو مرجع الفن — كما ينظر إليه النحات الفنان

أى شىء فى هذا الإنسان ؟ وأى شىء فى الحيوان معه ؟ وأى شىء أغرى المثالين بأن يكثروا من تماثيل الناس إكثاراً ملحوظاً ، فلم يحيدوا عنها إلا إلى الحيوان قليلاً ، ثم لم يرضوا بعد ذلك أن يعرجوا على النبات والجماد فيستقوا منهما فناً ؟

إنها هى الحياة من غير شك — والحركة مع الحياة — فليس شىء يميز الإنسان ومعه الحيوان أمام النحت على النبات والجماد غير الحياة والحركة . فإذا قلنا « الجمال » رأينا فى الزهر والجوهر جمالاً ؛ وإذا قلنا « الجلال » رأينا فى الدوح والجبل جلالاً ، وإذا قلنا « الصوت » رأينا النحت يهمله لأنه يقصر عنه … فلم يبق — فيما أظن — للإنسان والحيوان مميزاً على غيرهما فى رأى النحت إلا الحياة والحركة كما قدمت .

فما هى الحياة ؟

أهى فى نظر النحات هـذا النمو الجسدى الذى يقود الإنسان من طفولته إلى شيخوخته ؟ أم هى هذا الاضطراب النفسى الذى لا يهدأ فورانه بين جنبيه ما دام حيا والذى ينتاب وجهه وتقاطيعه وقسماته بالتعبير المتواصل الذى تصور كل حالة من حالاته رعدة

تربية، ويعتقدون أن من صدرت عنه لم يدرس آداب المائدة بعناية

كذلك يوجهون أهمية كبرى لسلوك الإنسان على المائدة فيشيرون إلى أنه كثيراً ما يُلحظ على رجل تظهر عليه سمات الثقافة والرقى وهو جالس حول مائدة بعض المطاعم أو الفنـادق الراقية ، أنه يلعب بأدوات المائدة، أو يضرب الأكواب بعضها ببعض دون وعى.

وقد يتغاضى عن أشباه هـذا السلوك فى الفنادق أو المطاعم ، ولـكن حدوث أعمال كهذه على مائدة وليمة رسمية يعتبر من أكبر النقائص الأدبية ، فإنه حينما لا يحتاج إلى استخدام الأيدى يحسن وضعها على الحجر فى سكون ، كما لا يحسن وضع المرفقين على المائدة إذا أسىء السلوك فى فعل ذلك ، ولا أن يوضع الكرسى قريباً جداً من المائدة ، ولا بعيداً جداً عنها . فـكلا الأمرين غير مقبول

نرجس الحكيم

من رعدات هذا الفوران أو هدأة من هدآته ؟ أم هي هذا وذاك ؟

بعض المثالين يذهب في فنه — سواء أكان متعمداً أم غير متعمد — إلى المذهب الأول ، وبعضهم يذهب المذهب الثاني ، وبعضهم لا يذهب مذهباً من هذين وإن كان يجمع في فنه ما يوفق إليه الأوائل ، وما يهتدي إليه الأواخر ... توفيقاً وهديا

أما أصحاب المذهب الأول فقد كثروا في مصر في هذه الأيام ، فكل معارض النحت التي تقام في مصر الآن لا تحوي من التماثيل إلا ما تقف أمامه لتقول إن هـذا التمثال يمثل رجلاً في السبعين ، أو فتاة في العشرين ، أو صبياً في العاشرة ، أو طفلة في الرابعة ... أما هذا الفوران الذي نذكره فهو بعيد عنهم ، وهم بعيدون عنه . ولعل ذلك يرجع إلى أن النحت فن لا يزال ينتفض تحت أثقال السنين التي تراكمت عليه في مصر فدفنته وكتمت أنفاسه دهوراً

وأما أصحاب المذهب الثاني فهم الذين كنا نتوقع أن نرى لهم أثراً ملحوظاً في معرض مختار الأخير . فقد طلب من المتسابقين في هذا المعرض أن يسجل كل منهم في تمثاله معالم الصلاة ومعانيها أو ما شاء من هذه المعالم والمعاني ، فما كان من حضراتهم — أو من أغلبهم — إلا أن سجلوا من حركات الصلاة ما طاب لهم ، موجهين كل اهتمامهم إلى إظهار تمكنهم من دراسة التشريح ، وإبداء مقدرتهم على محاكاة جثة الإنسان . وعلم الله أني لا أعرف ممن كانت تتألف لجنة التحكيم في هذا المعرض وإن كنت موقناً بأنها ضمت صفوة مختارة من المثقفين الأفاضل ؛ غير أنه يخيل إليَّ أنهم كانوا بعيدين إلى حد كبير عن هذا الذي نسميه «ما وراء المظهر» . والدليل على ما أقول أنهم منحوا الجائزة الأولى تمثالاً أزرق يمثل شيخاً معمماً مهندماً جالساً على حصيرة أنيقة جلسة يجلسها المصلون إذا ما فرغوا من صلاتهم وراحوا يسترجعون في أذهانهم ما أنفقوه وما كسبوه في يومهم ، ويستعيدون إلى ذاكرتهم ما قيدوا أنفسهم به من مواعيد أعمالهم أو لهوهم ... كل هـذا والمسابح في أيديهم تجري حباتها بين أصابعهم ! حبة تضرب حبة كدقات الساعات في جيوبهم لا هم انشغلوا بها ، ولا هي لفتتهم إلى أوقاتهم . هذا التمثال الذي لا يطالع ناظره بأي معنى من معاني الصلاة أعطى الجائزة الأولى لأن مظهره حسن في أعين حضرات المحكمين . والحق أنه أهل لجائزة ولكن على أن يقدم في مسابقة يكون موضوعها : « الجلوس على الحصيرة » لا « الصلاة » !

أما تمثال الصلاة فقد كان له أشباه في المعرض لست أدري كيف غمضت عنها عيون المحكمين ، فقد كان في المعرض تمثال لشيخ فان يقرأ التحيات ، ويومئ بسبابته اليمنى شاهداً أن لا إله إلا الله ، ويميل بكتف إلى جنب ميلة من ثقلت عليه الحياة فصبر ، ولكنه تخاذل فضعف وآن له أن يتحطم ، ولكنه استعان على ماضيه وحاضره ومستقبله . . . بالصلاة . وكان في المعرض أيضاً تمثال لرجلين أحدهما كبَّر ووقف يتلو الفاتحة ، والآخر لحقه فائتم به ورفع يديه ينوي الصلاة وراءه ... وقد ألقيت النظرة الأولى على هذا التمثال فلم أملك إلا أن أتلوى ، فقد نخسني وجه ذلك الرجل المتلهف على الصلاة نخسة موجعة . ذلك أن صاحبه أفرغ في وجهه روحاً من البله والعته كانت أمر سخرية من صلاة الكثيرين !

كان هذان التمثالان في المعرض وأولهما يكاد يفعم قلب الناظر إليه إجلالاً وخشوعاً إذا كان الناظر قد جرب الصلاة مثقلاً بالذنوب وبالحياة ، مؤملاً في رحمة الله ومغفرته ، مسلماً له شأنه ، مفوضاً له أمره ، وثانيهما كما رأيت فيه هذه الفكرة العجيبة الجريئة الشاذة التي ينقد بها صاحبه صلاة الكثيرين من المصلين .. ومع هذا فإن هذين التمثالين قضيا ما قضيا من الأيام والليالي في صالة الكنتننتال ، وحظيا ما حظيا بشرف المثول بين يدي معالي وزير المعارف وزملاء معاليه وزميلاته ، ولم يلق عليهما واحد من هؤلاء تحية ، ولم يسعدهما من أولي الحل والربط في فنون هذا البلد نظرة تقدير أو إعجاب

* * *

ولندع الآن الحديث عن معرض مختار لنعود إلى ما كنا فيه من الحديث عن فن النحت نفسه ، ولنحدد مكان هذا الفن من الفنون الجميلة . وأحسبني الآن في غنى عن تكرار التدليل على أن الحواس الإنسانية هي منافذ النفس ، وعلى أن النفس تحصل عن طريق هذه الحواس على أحاسيس وانفعالات وعواطف مختلفة ، فتخلطها وتمزجها وتنتجها بعد ذلك فناً تعبر به عن اتجاه صاحبها في الحياة . فإذا كنت في غنى عن هـذا فإن عليَّ أن أقف عند النحت وقفة

خاصة أقرن فيها أن النحت هو فن الصمت وأنه بهذا كان أقرب الفنون من التصوف . فالنحات يسجل فى تمثاله خفقة واحدة من خفقات الروح لا يفتأ ينتظرها ويتوقعها ويبحث عنها حتى إذا ما سطعت له مرتسمة على الجسم عامة ، وعلى الوجه خاصة ، تعلق بها وطبعها على روحه أو قل إنه يطبع روحه عليها ويرصدها عنده إرصاداً ويقفها عليها وقفاً . وهو بهذا يختلف عن الأديب الذى يتنقل فى موضوعه من خاطر إلى خاطر ، والذى يطلق وصفه لهذه الخفقة نفسها من ناحية إلى ناحية ، والذى يأخذ قارئه فى طوافه بها من جانب إلى جانب ، وهو فى هذا غير الموسيقى الذى يسلسل اللحن ويوالى التنغيم ليؤدى باللحن بعد تمامه ما يؤديه النحات باللمحة التى خطفها من الطبيعة وثبتها فى تمثاله تخلدها عليه . وهذا الأداء الذى يؤديه النحات لهو أشق وأعصى ما يرجوه الفن من الفنان ، فليس يسيراً أن يلحظ الإنسان كل ما ينتاب الناس من اهتزازات الروح ؛ وإذا كان من هذه الاهتزازات ما يبقى مواجهاً للعين والحس لحظة أو لحظات ، فإن فيها ما يتلاشى أثناء تكوينه !.. كلهفة الإعجاب التى تنتاب امرأة متزوجة عند ما تلمح تحت بصر زوجها وسمه شاباً يروقها، فهى لا تكاد تسمح لوميض الإعجاب أن يلمع فى عينيها إلا ريثما تهب عليه نسمة من خجلها وريائها أو عفتها تطفئه وتخمده. هذه اللهفة قد يصفها الكاتب، وقد يصفها الشاعر ، وقد يصفها الموسيقى موصولة بغيرها ؛ وقد تؤديها ممثلة خيراً من أدائهما إذا كان بين النساء ممثلات فيهن من دقة الفهم والحس ما يقف بهن عند هزة خاطفة من هزات الروح كهذه ؛ وقد يؤديها أيضاً رسام مستعيناً عليها بالألوان والظلال . . . ولكننى لا أتصور أن فناً من هذه الفنون جميعاً يؤتمن عليها مثلما يؤتمن عليها النحت المادى . ذلك أن قلة الأدوات التى يستعملها النحات فى فنه تبعثه على الاستعاضة عن التيسير الذى تتيحه الأدوات لأصحاب الفنون الأخرى بطاقة كبرى من روحه يجود بها على فنه، إذ ما قد يستطيع غيره أن يمسك من شعاع النفس لا يملك النحات إلا أن يبذله

والنحات لا يهتدى إلى أمثال هذه اللمحات السريعة التى رأينا إحداها إلا إذا عاش وهو حديد البصر يكاد يلتهم كل ما يراه التهاماً، فإذا ما وقع على شىء مما يطلبه جمدت عنده نفسه . وما أشق جمود النفس على صاحب الفن ، ولكنه عند النحات هو السبيل الوحيد الذى يرصد به فنه لا يغنيه عنه التسجيل على الورق ، ولا ترضيه عنه الاستعادة والاستذكار ، فهو إذا قنع بهما رأى آخر الأمر أنه فقد شيئاً مما كان يطلبه ، وهو لا يريد أن يفقد مما يطلب شيئاً لأنه يطمع دائماً فى التوفيق إلى محاكاة صنع الله لأنه يدرك أنه ليس وراء فن الله فن . لهذا كان أكمل المثالين هو هذا الذى يستغرق فى موضوعه منذ أن يهتدى إليه إلى أن يؤديه؛ وهذا الاستغراق — كما قد يعلم القارئ — يركز إحساس النحات أو المثال فى لمحة من حركة أو سكنة من سكنات وضع . وعلى من يريد أن يتصور مشقة هذا وثقله على النفس والروح والبدن أن يجربه وأن يرى كم من الزمن يستطيع أن يستمر فيه ... فليبتسم ابتسامة رضى وليشعر معها بالرضى وليظل هكذا وليركم يستطيع أن يظل ؟ فليقطب تقطيبة أسى ، وليشعر معها بالأسى وليظل هكذا وليركم يستطيع أن يظل ؟ !

هذا عمل لا يستطيع غير النحات أن يؤديه ، وهو لن يكون نحاتاً متمكناً إلا إذا استطاع أن يؤديه ... ومن العجيب أن النحات يطلب من أنموذجه أن يكون مرآته ، وأن يعينه على تهيئة الجو الذى يريد أن يندمج فيه ، وهو فى هذا معذور مسكين ... فهو حين يؤدى بروحه وبجوارحه ما يريد أن يسجله لا يرى نفسه ولا يستطيع أن ينقل عن صورته ... عندئذ يضطر أن يشرح للأنموذج ما يطلب أن تكون عليه هيأته ؛ وقليلاً ما يوفق النحات إلى طلبته ، ولعل قلة التوفيق هذه هى التى تلقى فى نفوس النحاتين الغرام بنماذجهم المطاوعة ، فكم سمعنا بنحات يتزوج من أنموذجه بعد أن يفرغ من صنع تمثالها مهما كانت هذه الأنموذج فقيرة أو جاهلة أو ساقطة ... فهو لا يرى فيها إلا أنها مرآة تتلقى حسه وتعكسه فى وجهها

هذا هو النحات الحساس كما يريده الفن أن يكون

وهناك نحات آخر فيلسوف صاحب فكرة يرمز إليها بتمثال . ولعل مختاراً رحمه الله كان من هذا النوع حين أراد أن يكون من النوع الثانى فلم تسعفه موهبته . ونظرة واحدة إلى نهضة مصر مع نظرة واحدة أخرى إلى تمثال سعد زغلول فى القاهرة أو فى الاسكندرية تؤيدان هذا الرأى الذى أذهب إليه ، فهمة أبى الهول

فى التمثال الأول ليست إلا رمزاً لفكرة معجزة فى سهولتها أدى بها مختار معنى النهضة بما لا يمكن — فى إيمانى — أن يهتدى فنان إلى ما هو أسهل وأبلغ إيجازاً منها فى الوقت نفسه . فكم من العيون رأت أبا الهول القديم رابضاً ربضته ، وكم من القلوب أحست أيام الثورة بنزعة مصر إلى التوثب، وكم من العقول اهتدت إلى التوفيق بين ما تراه العيون وما تحسه القلوب غير عقل مختار

كان مختار إذن صاحب فكرة ، فهل كان من الحس فى مقام يدانى مقامه من الفكر ؟

قد يحب أنصاره وأصدقاؤه أن يجاملوه — وعلى الأخص بعد وفاته — فيعترفوا له بهذ الذى أريد أن أتريث قبل أن أقول كلمتى فيه ؛ بل الذى لا أريد أن أقول كلمتى فيه إلا بعد أن أحيلهم على تمثالى سعد زغلول وأرجوهم أن يصدقوا أنفسهم حين يرجعون إليها بما ينتابهم من الشعور بعد النظر إلى التمثالين ، فإن لم يكفهم النظر فليخضعوا إليهما زمناً وليروا : هل يقف بهم مختار حين يقف بهم عند واحد من هذين التمثالين أمام زعيم كانت له مميزات سعد زغلول الصارخة التى أقل ما سجلها له أعوانه وخصومه : جبروته ، وكبرياؤه ، ونفوذه ؟ أما أنا فأتحاشى المغالطة حين أقول إنى لا أشعر فى وقفتى أمام أى من هذين التمثالين بشىء من هذا الشعور ...

وما دمت قد عرجت على مختار ، فإنى أرى أنه من الوفاء لذكراه أن أسجل له إخلاصه لأساتذته المثالين الفراعنة ، واصطناعه أسلوبهم الذى يميل إلى الجلال مع التبسط ، وهو الأسلوب الذى جرى عليه مختار فى تماثيله جميعاً ، والذى عشقه مختار لأنه كان مصريًّا صادقاً فى مصريته ، ولأنه أراد باصطناعه أن يفاخر به الأساليب الغربية المتأنقة ليشهد معه أصحابها أن مصر أم الفن القديم لا تزال خصبة لم يصبها عقم ، ولم يعبث بأسلوبها الفنى القدم، ولم يقلل من روعته مر الزمن

ولقد أنشأ مختار بصنيعه هذا مدرسة جديدة فى النحت لها اليوم من طلبة الفنون الجميلة العليا وخريجيها تلاميذ ، وفيها من زملائه المدرسين فيها أساتذة ، ولكن الفرق بين مختار وبين أبناء مدرسته هؤلاء أنه شغف حباً بالفن المصرى من غير أن يرسم لحبه هذا خطة بينما هم قديمو الخطة ولما يتلاشوا إلى اليوم فى هذا الفن كما تلاشى فيه مختار . فأنت لا تجد اليوم واحداً من النحاتين المصريين إلا وتراه يحدثك فى إسراف عن الفن القومى ، فإذا نظرت إلى التماثيل المصرية التى تنصب فى المعارض اليوم تعذر عليك أن تؤمن — مهما تعمدت هذا الإيمان — بأن الذين أنتجوا هذه التماثيل مصريون . ولو أن هؤلاء الشبان ربوا تربية فنية قومية صحيحة لأنتجوا فناً مصرياً صحيحاً . ولعل وزارة المعارف إذا كانت تهتم بأن تنتج فناً قومياً تفكر منذ اليوم فى نقل قسم النحت من مدرسة الفنون الجميلة العليا إلى أسيوط

وأخيراً ، فإنى لا أستطيع أن أدع هذا الموضوع قبل أن أذكر الفن العصرى أو الفن الحديث أو الفن « المودرن » كما يسمونه وقد بدأ يزحف إلينا ، وراح يروج له أنصار السرعة من النحاتين الذين لا يطيقون دراسة الصناعة اللازمة للفن . فهم يجيزون اضطراب النسب فى الأجسام ، ونشوز الحركات والأوضاع ، معللين هذا التجاوز بأنهم قوم لا يعبأون إلا بالفكرة والروح ...

هؤلاء لهم دينهم ولغيرهم دين يؤمن أصحابه بالله وبفن الله ، ويسبحون به مرحباً وسؤالاً ، فهو سبحانه وتعالى النحات الأول ، وإنه سبحانه وتعالى لهو الفنان الأول ، فأى تمثال كإنسانه ؟ وأى كلام كقرآنه ؟ وأى أغنية يمكن أن تكون أبلغ وأصدق من أناشيد زبوره وألحانه

عزيز أحمد فهمى

من هنا ومن هناك

عصبة البنادق !!

للكاتب الفرنسى موريس برا

[ملخصة عن البتى باريزيان]

من فى العالم يفكر الآن فى مجلس عصبة الأمم المسكين وهو معلق من خناقه فى جنيف ؟

إن عصبة الأمم تضمحل ويتلاشى أثرها إن كان ثمت شىء يحمل هذا الاسم . ولقد تبتسم ونحن نفكر فى تلك الشخصيات البارزة التى شغلت ردحاً من الزمن بالعمل المتواصل حول تلك المائدة الخضراء فى جنيف !

أجل . يحق للانسان أن يبتسم ، بل يحق له أن يضحك ملء شدقيه لو كان فى القلب مكان للضحك !

ما مصيرك بعد نورمبرج يا جنيف ؟ إنها لفكاهة مريرة قاسية ! ماذا تصنع عصبة الأمم الوديعة أمام أحاديث هتلر المتدفقة بالبلاغة وتصريحاته السياسية الملتهبة التى تدوى فى أنحاء العالم ؟ إن عصبة الأمم لا تملك غير المداد والكلمات فى ميدان جرت فيه أبلغ الأحاديث وظهرت فيه أحزم الأفكار وأدق الآراء

إن عصبة الأمم المسكينة قد فقدت اعتبارها — ويا للأسف — بعد أن افتقرت إلى الأمم وأعوزتها القوة والنفوذ . ولكننا فى هذه الساعة الرهيبة الحالكة الظلام ، يصح لنا أن نفكر ونتأمل

ألم يكن الحق مقره جنيف ؟ ألم تقم دعامة للسلم فى جنيف لمكافحة الحرب ، لمكافحة القوة ، لمكافحة التسليح الذى يهدد العالم بالخراب ؟ أيوجد تدبير أحكم من اتحاد أمم العالم فى مجلس قوى منظم لحفظ السلام ؟

ألم يكن الخلاص فى جنيف ؟ ألا يمكن أن يكون الخلاص فى جنيف ؟ !

إنهم يقولون حلم بعيد التحقيق ويضحكون ويقهقهون . ولكن هل من العقل أن نظل كذلك الى الآن ؟

هل من العبث أن نتباحث ومن العقل أن نتحارب ؟ هل من العبث أن نبحث عن حلول سلمية عادلة لشئوننا المختلفة ، ومن المنطق أن نحكم القنابل فى كل ما نختلف فيه من الأمور ؟

أمن العبث أن نقدر الضمير الإنسانى ، ومن العقل أن نقبل حكم المدافع والقنابل بغير تبصر أو تفكير ؟

إنها ليست عصبة الأمم التى أفلست . وإنما هى المدنية التى أفلست ... إنها الإنسانية قد أصبحت « عصبة بنادق » ... وعلى الدنيا السلام ...

إيطاليا وقناة السويس

بقلم الكاتب الايطالى ف . بارنو

يقول هيرودتس أبو التاريخ إن العواهل من الحكام الأقدمين كانوا يحلمون بقطع تلك البقعة الصغيرة من الأرض التى تفصل خليج العرب الممتد من البحر الجنوبى (البحر الأحمر) عن الخليج الممتد من البحر الشمالى (البحر الأبيض المتوسط) وإلى الآن لم يختلف اثنان فى أهمية وصل هذين البحرين

ولقد كان نابليون بونابرت فى العصور الحديثة مأخوذاً بهذه الفكرة ... ولم يكن نابليون بالرجل الذى يعدل عن فكرة اتجه نظره إليها ، ولكنه عدل عنها تحت تأثير مهندسه « لابير » الذى أكد له أن بين مستوى الماء فى البحرين اختلافا عظيما قدّره بتسعة أمتار ، وأن هذه الفكرة مستحيلة التنفيذ

وفى سنة ١٨٢٠ حاول جيتانو جادينى الإيطالى أن يفند تلك الفكرة القائلة بوجود اختلاف بين مستوى سطح الماء . وجاء إيطالى آخر يدعى تجرلى فتقدم بأول اقتراح لشق تلك القناة، وبناء على اقتراحه تألفت جماعة من الفرنسيين والإيطاليين للبدء فى هذا المشروع الذى يعد أعظم مشروع حيوى فى ذلك العهد

ولكن أصغ إلى ما قالته انجلترا فى هذا المشروع حين نمى إليها خبره : أعلن لورد بالمرستون فى البرلمان الانجليزى أن أقل ما يمكن أن يقال عن هذا المشروع البعيد التحقيق أنه خرافة لا مثيل لها وتغرير لاحد له بعقول السذج الذين لا عقول لهم. كان ذلك فى أول يونية سنة ١٨٥٩

وفى ٦ من نوفمبر ١٨٦٩ افتتحت القناة، أو الخرافة العظيمة، فى موكب حافل مؤلف من ستين مركباً لمختلف الأمم ، مقلعة من بورسعيد إلى السويس وهكذا أصبح الطريق ميسراً من أوربا إلى غرب أفريقية

ولقد تبرعت انجلترا – على غير انتظار – بمبلغ عظيم من المال لتتقدم ذلك الموكب بسفينة عظيمة من سفنها

وقد كتبت التيمس قبل ذلك ببضع سنين تقول : إن هذا المشروع تعترضه مصاعب جمة ، وإن إتمامه أمر لا يستطيع أن يتصوره العقل قبل حدوثه . وإذا افترضنا وتمت هذه المعجزة بحال من الأحوال وأصبح مشروع قناة السويس أمراً واقعاً فإننا لا نستطيع إلا أن نعلن أن هذا المشروع يجب أن يكون إنكليزياً قبل كل شيء .

وإذ كانت هذه نظرة الإنجليز للمشروع ، وكان هذا مبلغ شكهم فى إمكان تحقيقه فإن موقف الفرنسيين أدهى وأمر ! فقد اختلسوا من إيطاليا فخر تنفيذه !

إننا نحن الذين أوجدوا المشروع وأذاعوا نبأه فى العالم . ولقد كان لنا نصيب وافر فى الأحوال التى بذلت فى سبيل تنفيذه. وإننا نحن الذين قدموا العمال والصناع للعمل فيه وقمنا بنشر الدعاية اللازمة فى الدوائر الاقتصادية المختلفة لمتابعة السير فيه

وكل ما للفرنسيين من الفضل فى هذا المشروع هو تقديم المهندس الذى قام بتأسيس القناة وهو المسيو فرديناد دى لسبس الذى كان لحظه صديقاً لسعيد باشا حاكم مصر فى ذلك الزمان

. وتظهر قيمة دى لسبس الحقيقية حين هم بإنشاء قناة فى بنها مثل قناة السويس وهنا الفضيحة التى لا يجهلها إنسان !

وذلك أن دى لسبس لم يكن له مرشد حينما أراد أن يسير فى ذلك المشروع ، فلم يكن له سند ولا دليل من الإيطاليين

فقد كان جاتينو جدينى الإيطالى هو الذى قام فأثبت خطأ النظرية القائلة بالتفاوت بين ارتفاع سطح المياه ، وتجرلى الإيطالى هو الذى قدم تصميم بناء القناة بينما قام بترمو بلوكابا الإيطالى أيضاً بالعمل، وادوادوجوايا الإيطالى الذى قام بالقسط الأوفر فى التأسيس، وتوسللى أخيراً الذى دافع عن الفكرة أمام خصومها وأعد حملة من الكتاب والصحفيين لنشر الدعاية لها ...

ماذا يضايق الانجليز ؟

نشرت مجلة تصدر فى برلين مقالاً تحت هذا العنوان نلخصه فيما يأتى :

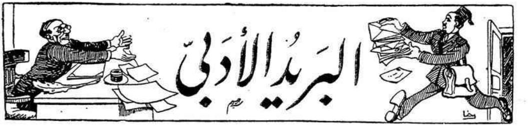
للإنجليزى مقدرة عجيبة على التضجر ينفرد بها عن سائر الناس . فهو يتعمد أن يدوس على الأقدام عامداً متعمداً ليبدو أنه سيد العالم

فما يضجر الإنجليزى أن تأكل أمامه ونفسك مفتوحة للطعام ، وحسبك أن تمضغ لقمة لتكون قد خرجت عن حدود اللياقة والعرف

لا بأس لدى الإنجليزى أن يراك ثملاً ، مادمت تستطيع أن تسير فى الطريق فى هدوء واعتدال

ويتضايق الإنجليزى إذا جلست معه إلى طعام وأدخلت ملعقة الحساء مثلاً فى فمك ، فإنه يعد ذلك من علائم الانحطاط وسوء التربية

ومما يضايق الإنجليز أن تدخن وانت فى لباس السهرة — وقد فعل ذلك سفير أمريكا — فقوبل عمله بنقد شديد . وعلى أن هذه العادة أخذت تزول منذ ظهر مستر بلدوين يدخن لأول مرة فى لباس السهرة



أبو تمام – خليل مطران

١ – أرجو أن يثق الأستاذ الجليل (القارئ) أن البيت (من كل بيت يكاد الميت يفهمه) لأبي تمام لا للبستي. ولو أن الأستاذ الجليل أعاد قراءة ديوان أبي تمام وديوان البستي لوجد فيه قوة أداء أبي تمام وهي قوة الأداء التي يفتقد (مثلها) في ديوان البستي. أما قوله إن البيت ليس في ديوان أبي تمام فسهو منه لأنه في ديوان أبي تمام في باب المعاتبات صفحة ٤٠٩ من الطبعة التي قرظه فيها الأستاذ إسعاف النشاشيبي ، وهو في قصيدة مشهورة موجودة في الديوان وفي غير الديوان قالها يعاتب بها محمد بن سعيد كاتب الحسن بن سهل وأولها هكذا :

محمد بن سعيد أرْعِنِي أُذُنًا فما بِأذْنِك عن أُكرومَةٍ صَمَمُ
لم تُسقَ بعد الهوى ماءً على ظمأ ماءً كقافية يَسْقيكهُ فَهِمُ
من كل بيت يكاد المَيْتُ يفهمه حسناً ويعبده القرطاسُ والقلمُ
مالي ومالك شِبْهٌ حين أنشده إلا زُهَيْرٌ وقد أصغى له هرِم

الخ . ويروى الشطر الثاني من البيت الثاني في بعض الكتب (كماء قافية) وأظن أن الأستاذ (القارئ) أخطأ فهم قول الثعالبي فإنه أراد أن يمدح قول البستي ببيت أبي تمام على سبيل الاستشهاد والتضمين فقال الثعالبي : يعجبني قوله من كل بيت الخ أي يعجبني قوله من الأبيات التي صفتها كيت وكيت . وأرجو أن يسامحني الأستاذ الجليل (القارئ) في هذا البيان

٢ – قال الدكتور أدهم إني تأثرت بطريقة خليل بك مطران. وهذا يشرفني لو كان حقيقة، ولكنه ليس حقيقة، فإني لم أتأثر بطريقة خليل بك لا في قليل ولا في كثير . وإذا استطاع الدكتور أدهم أن يجيء بشواهد فإنها تكون شائعة بين الشعراء فليجيء بها، وإذا ساعدني اطلاعي الضئيل وذاكرتي الضعيفة أثبتُّ أني احتذيتها إما في شاعر آخر وإما لأنها شائعة بين الشعراء. وقد أرسلتُ لمجلة (المقتطف) المقالة الأولى في الرد على قوله عقب قراءتي مقالته في مجلة المقتطف. وليطمئن الدكتور أدهم فإني سأثبت له بمقالات عديدة وشواهد وأسباب كثيرة أنه واهم في قوله كل الوهم

ومما لا يقبله العرف الإنجليزي أن تطلب فتاة أو زوجة حديثة السن للرقص قبل أن تقدم إليك اذا جمعكما منزل واحد

ولا يطيق الإنجليزي أن يراك تتكلم في الفلسفة أو الدين إلا إذا دعاك هو للكلام في هذه الشئون ، لأن الإنجليزي يعتقد في نفسه العصمة من كل ما يسبب الضجر للآخرين . وهو يميز نفسه دائماً عن الأجنبي ، لأن الأجنبي لا يعرف ما يضايق الإنجليز

وهذا المظهر من عادته أن يجعل الأجانب من رجال السياسة الذين يفدون إلى انجلترا على حذر في كل ما يأتونه هناك إن لم يكن عندهم شيء من الرصانة والثقة بالنفس

فإذا عرف إنسان ما يضايق الإنجليز في بلادهم ، فقد أصبح انجليزيا في عرفهم مهما تكن جنسيته

وقد نقلت هذه النبذة مجلة انجليزية تحت عنوان (ماذا يقولون عنا) وعلقت عليها بنبذة من كلام أمرسون عن الخلق الإنجليزي جاء فيها :

(إن الإنجليزي لا يقدم على عمل بنصف قواه ، ولكنه يقدم عليه بكل قواه . إنه لا يطيق حياة الرخاوة والكسل بحال من الأحوال . والإنجليز على جانب عظيم من المقدرة في سياستهم وإن شك بعض الحمقى في ذلك

إنني أعتقد أن في الإنجليزي قدرة على تجديد قواه الكامنة في كيانه ، وذلك يدل على أن هذه الأمة قادرة على التجديد دائما . وكل شيء يقدر عليه الإنجليزي يفعله بغير تردد)

ونحن نرجو أن تكون هذه المساجلات كل ما يقع بين الأمتين.

أولاً : لأنى اطلعت على الأدب العربى والأوروبى فى سن مبكرة بالمدارس الابتدائية والثانوية وذكرت الأدلة وقارنت بين كل قصيدة لى والقصائد التى احتذيتها فى مقالة (المقتطف)

ثانياً : إن قوله إن شعرى يغلب عليه التشاؤم خطأ، ولاأظن أنه يرفع قدر شعر مطران لو صح ، وفى شعرى التفاؤل والتشاؤم

ثالثاً : إن ثقافتى الأوربية فى أول نشأتها كانت ثقافة انجليزية، وثقافة مطران فى أول نشأتها كانت ثقافة فرنسية . ويتضح ذلك من توجيهى قصيدة فى الجزء الأول من ديوانى إلى الشاعر بيرون، ومن تعلمى اللغة الإنجليزية واتساع المجال إلى قبل سفرى إلى انجلترة وبعده للاطلاع على الأدب الإنجليزى

رابعاً : إن الأدب الفرنسى الذى اطلعت عليه اطلعت عليه فى كتب مترجمة إلى اللغة الإنجليزية لا فى شعر مطران، وإذا شرفنى الدكتور أطلعته عليها وعلى ما أشرت به فى هامشها

خامساً : إن كثيراً من شعرى ونثرى يغلب عليهما التحليل النفسى أو السخر أو التفكير فى مذاهب التفكير الأوربية الإنجليزية والفرنسية والألمانية الخ. ولم أر ولا أظن أن أكثر القراء رأوا مثل ذلك فى شعر مطران ، وسأوضح مراجع هذا التفكير الذى تأثرته فى الأدب الأوربى

سادساً : إني لم أطلع على ديوان مطران إلا بعد نشرى جزءاً من شعرى على الأقل. وقد كنت قرأت شعر البارودى فى الصغر ورثيته بقصيدة نشرها خليل بك نفسه فى مجموعة مراثي البارودى، وكانت قراءتى لشعر البارودى لنشر أستاذه المرصفى الكبير كثيراً من قصائده وقصائد من عارضهم فى كتاب (الوسيلة الأدبية) الذى وجدته فى مكتبة أبى وأنا تلميذ بالمدارس الابتدائية

سابعاً : إنى لم أقابل الأستاذ مطران غير ثلاث مرات ، مرة فى قهوة نلسون فى الصيف بالإسكندرية على غير قصد ، ومرة أخبرنى الدكتور أبو شادى أن خليل بك يرحب بأن أزوره ، والمرة الثالثة قابلته أخيراً فى مكتب العشماوى بك فى وزارة المعارف (أو هما مرتان) . ولم يحاول فى مرة منها أن يجعلنى تلميذه أو أن يشجعنى، ولم يشر إلى أنى أقاربه فى مذهبه؛ بل إنى ظننت وبعض الظن إثم ، أنه فى حديثه عن الأدب فى قهوة نلسون فى اللقاء الأول كان ينتقد مذهبى من غير إشارة إلى انتقاداً مراً ، وكنت قد نشرت أربعة أجزاء. والذى أعرفه أن خليل بك فى ذلك العهد كان يتنصل من أن يكون قد أثر فى الشعراء الشبان . وإذا كان قد شجع شباباً غيرى فإنه لم يشجعنى مطلقاً إلا بنشر رثائى للبارودى قبل ذلك العهد وقد أرسلته بالبريد ولم أكاتبه مرة أخرى . والحقيقة أن كلمة التجديد فى ذلك العهد كانت يساء بها الظن كما لا يزال يساء بها الظن، وأن هذا كان من دواعى موقف خليل بك، وقد تحول الآن قليلاً

ثامناً : إنه من سوء حظى أنى عند ما اطلعت على شعر خليل بك لم أطلع على أحسنه وأروعه وأفخمه ، بل اطلعت على القصائد التى نظمها لمداعبة الآنسات السوريات وجعلها على قدر فهمهن فظننت أن كل شعره من هذا القبيل . وزاد هذا الاعتقاد أنى قرأت له شعراً يشبه بعض شعر الحفلات والحياة الفرنسية الاجتماعية. وقوى هذا الاعتقاد إكثاره من شعر المناسبات اليومية التى لا أكتب فيها ولا أرى أنها من خير الشعر، وقلة اهتمامه بنشر شعره لاشتغاله بالتجارة مما أخمل شعره الجليل وقلل أثره؛ ومَدْحُ بعضِ الشعراء المتطرفين فى التجديد له جعلنى أشك فى شعره وأزهد فى قراءته ومنعنى من تأثره والاستفادة منه كما كان ينبغى

عبد الرحمن شكرى

عبث الوليد

قرأت ما كتبه الأستاذ الكبير عبد الرحمن شكرى عن أمير الصناعة البحترى فكان عندى موضع إعجاب وإجلال. وإنى لمعجب ومقدر لما يكتبه الأستاذ من الأبحاث القيمة والموضوعات الأدبية الطريفة فأقرأه بشغف وأتزود منه وأنتفع به . غير أن لى ملاحظة على قوله إن المعرى « شرح ديوان البحترى وسماه عبث الوليد . ولعمرى لو كان شعر البحترى عبثاً ما احتفل له أبو العلاء ولما سلخ له زماناً من عمره فى شرحه وإلا كان المعرى عابثاً لإضاعة وقته فى شرح العبث الخ »

فإن المعرى لم يشرح ديوان البحترى كله . وحاشا المعرى أن يسمى سلاسل الذهب عبثاً. وكيف يصح ذلك منه وهو الذى يقول : « المتنبى وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحترى » وهذه شهادة منه تعتبر أرقى من أهم شهادة فى هذا العصر

وإنما اختار أبياتاً ارتكب فيها البحترى ضرورة من الضرورات أو استعمالاً شاذاً أو مذهباً نحوياً غريباً فشرح هذه الأبيات وبين ما فيها وأسماها عبث الوليد

وهذا الكتاب طبع بدمشق ويوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية مأخوذة بالتصوير الشمسى برقم ٧٩٥٧ . وهذه بعض أمثلة منه

حرف الهمزة من التى أولها : زعم الغراب منبئ الأنباء :

فلعلني ألقى الردى فيريحني   عما قليل من جوى البرحاء

الأكثر فى كلامهم لعلى وبها جاء القرآن وربما جاء لعلنى وهذا البيت ينشد على وجهين :

أريني جواداً مات هزلاً لعلني   أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

ومنهم من ينشده لأننى وهو بمعنى لعلنى الخ

وقال فى محل آخر :

لم تقصر علاوة الرمح عنه   قيد رمح ولم تضخه خطآء

خطآء بفتح الخاء ردىء إلا أنه جائز وقد حكى عن بعض القُراء المتقدمين : « أنه كان خطآء كبيرا » بالفتح والمد . والكسر أجود ليكون مصدراً لخاطأ لأنهم قد قالوا تخاطأته المنية قال الشاعر :

تخاطأت النبلُ أحشاءه   وأُخِّر يومى فلم يَعْجَلِ

ويجوز أن يكون خطآء وهو مأخوذ من الخطوة كما يقال خطأه الله السوء أى جعل السوء يخطوه فلا يمر به ، وقال :

وما دول الأيام نعمى وأبؤساً   بأجرح فى الأقوام منه ولا أسوى

قوله أسوى تسامح من أبى عبادة لما كان الأسو ظاهر الواو وكذلك قولهم أسوته فى الفعل فأنا آسوه آنس بالواو ، فجاء بها فى أفعل الذى يراد به التفضيل وإنما القياس ولا آسى وما علمت أن أحداً استعمل هذه اللفظة التى استعملها أبو عبادة وكأنه قال : ولا أوس ثم نقل الواو إلى موضع العين وإذا بنى من أسا يأسو مثل أفعل فالأصل أن يجتمع فيه همزتان إلا أن الثانية تجعل ألفاً كما فعل بها فى آدم فهذه الألف جاء بها أبو عبادة فى أسوى بعد الواو يجب أن تكون الهمزة المخففة وقد أبدع فى استعماله هذه الكلمة ومن التى أولها :

أبا جعفر ليس فضل الفتى   إذا راح فى فرط إعجابه

ولكنه فى الفعال الكريـم   والخلق الأشرف النابه

جاء بالنابه مع إعجابه فجمع بين الهاء الأصلية وهاء الأضمار وذلك قليل إلا أن الفحول قد استعملوه واستحسنه كثير من المحدثين. وقالت امرأة من العرب تهجو ضرتها وتخاطب زوجها :

بطون كلب الحى من جدارها   أعطيت فيها طايعاً أو كارهاً

حديقة علياء من مدارها   وفرساً أنثى وعبداً كارهاً

ومن التى أولها : وكان الشامغان أباً مولهاً :

بنو الأطروش لو حضروا لكانوا   أخص مودة وأعم رأياً

قوله الأطروش يقول بعض أهل اللغة إنها كلمة لا أصل لها فى العربية وقد كثرت فى كلام العامة جداً وصرفوا منها الفعل فقالوا طرش يطرش وأفعول بناء عربى كثير. ويجوز أن يكون من أنكر هذه اللفظة من أهل العلم لم تقع إليه لأن اللغات كثيرة ولا يمكن أن يحاط بجميع ما لفظت به القبائل. وكان عبد الله ابن جعفر بن درستويه يذهب إلى أن كلام العرب لا يمكن أن يدرك جميعه إلا نبى إذ كان غاية ليست بالمدركة. وممن كان ينفى الأطروش عن كلام العرب أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى الخ

هذه طريقة هذا الكتاب وهو كتاب جليل على صغر حجمه نافع لا يصح أن يكون مجهولاً غير معروف بين الأدباء والسلام على الأستاذ

ابراهيم يس القطان

المبتدأ الذى لا خبر له

لا شك فى أنه يوجد فى علومنا ما يحتاج إلى التمحيص ، ولقد درست النحو فى هذه السنة فدرجت فيه على عادتى فى الدرس من إيثار تمحيص المسائل على ترديدها كما دونها المؤلفون. ومن ذلك مسألة المبتدأ الذى لا خبر له، وهو الذى أشار إليه ابن مالك فى قوله:

وأولٌ مبتدأ والثانى   فاعلٌ اغنى فى أسارٍ ذانِ

وهم يقولون فى إعراب هذا المثال : الهمزة للاستفهام ، وسار مبتدأ ، وذان فاعل سد مسد الخبر . وفى هذا الإعراب المشهور مؤاخذة من وجهين : أولها أن هذا الوصف ليس مبتدأ فى المعنى، لأن المبتدأ فى الجملة الاسمية هو المحدث عنه أو المسند اليه أو المحكوم عليه ، والخبر هو المحدث به أو المسند أو المحكوم به ، والوصف فى ذلك المثال جار مجرى الفعل ، فهو محدث به لا محدث عنه ، ومسند لا مسند إليه ، ومحكوم به لا محكوم عليه

وثانيهما أنه كلما كان هناك مبتدأ وجب أن يكون هناك خبر ، فلا يمكن وجود مبتدإ لا خبر له ، وهذا كما لا يمكن وجود خبر بدون مبتدأ ، ولا وجود فعل أو فاعل بدون الآخر ، وذلك لأنه لا يعقل وجود محدث عنه أو مسند إليه أو محكوم عليه بدون وجود محدث به أو مسند أو محكوم به ، ولا يمكن أن يسد الفاعل الذى بعد ذلك الوصف مسد الخبر ، لأن الفاعل مسند إليه ، والوصف إذا كان مبتدأ يقتضى مسنداً لا مسنداً إليه

فإذا قيل إنه ليس معنى المبتدإ هو المسند إليه أو نحوه ، وإنما هى تسمية اصطلاحية بمعنى الاسم العارى عن العوامل اللفظية ، فيكون ذلك الوصف مبتدأ بهذا المعنى ، وإن كان مسندا لا مسندا إليه ، فالجواب أن هذه التسمية الاصطلاحية لا نظير لها فى علم

النحو ، فلا يسمى فيه فاعل إلا إذا كان فى المعنى فاعلاً ، ولا يسمى فيه مفعول إلا إذا كان فى المعنى مفعولاً ، ولا يسمى فيه حال إلا إذا كان فى المعنى حالاً ، وهكذا . فيجب أن يكون المبتدأ كذلك ، ولا يصح أن تكون تسميته تسمية لفظية صرفة ، لأنه لا يوجد فى النحو إعراب لا معنى له

والذى أراه أنه لا يجب أن يعرب مبتدأ كل اسم عرى عن العوامل اللفظية ، وقد استثنوا من ذلك اسم الفعل فلم يعربوه مبتدأ ، وأنا أستثنى منه ذلك الوصف فلا أعربه مبتدأ أيضاً ، وإنما يعرب عندى اسم فاعل مرفوعاً لتجرده من العوامل ، كما يرفع الفعل المضارع لتجرده منها ، فإذا كان اسم مفعول أعرب اسم مفعول ، وهكذا . وبذلك يستقيم جعل ذلك الوصف مسنداً ، وجعل مرفوعه مسنداً إليه .

عبد المتعال الصعيدى

مباراة موسيقية غنائية تنظمها جماعة الأسايست فى القاهرة

نظمت جماعة الأسايست بالقاهرة مباراة علمية فى البحوث الموسيقية والغنائية ، وأعدت للفائزين فيها أربع جوائز ، اثنتين منها للبحوث المقدمة باللغة العربية ، والأخرين للبحوث المقدمة باللغتين الفرنسية أو الإنجليزية

أما الموضوعات التى اختيرت لهذه المباراة فهى :

الموسيقى العربية — بحث فى أحد أعلامها (أعماله ، منبع إلهامه ، أثره فى الموسيقى العربية ، الخ .) وآخر فى الأغانى الشعبية المصرية ، وثالث فى الموسيقى المصرية الحديثة

الموسيقى الغربية — بحث فى ترجمة حياة أحد الأعلام الثلاثة : باخ — بيتهوفن — دوبسى ، وبحث آخر فى السوناتا ، وثالث فى عصر من العصور الموسيقية : العصر القديم (الكلاسيكى) ، العصر الإنشائى (الرومانطيقى) ، الموسيقى بعد الحرب ، الموسيقى المقارنة ، بحث فى المقابلة بين الموسيقى العربية والموسيقى الغربية والصلة بينهما قديماً وحديثاً

والاشتراك فى هذه المباراة مباح للمقيمين فى مصر ، بشرط ألا تزيد سنهم على الثلاثين ، وألا تستغرق البحوث أكثر من ثلاثين صفحة من القطع الكبير مع عدم النقل الحرفى من المراجع . وتقدم طلبات الاشتراك حتى آخر الشهر الحالى ، والبحوث إلى يوم ٣١ مايو المقبل مع رسم قدره ١٥ قرشاً باسم سكرتيرية الجماعة بشارع المغربى رقم ٩ بالقاهرة .

أما لجنة التحكيم فقد ألفت من حضرات الدكتور محمود أحمد الحفنى رئيساً ومدام بتسى ستروس وكيلة ، ومصطفى رضا بك ، والأستاذ توفيق الحكيم ، والدكتور . ب . شيفر الستر ، والأستاذان ج . هوتيل ، و ا . تيجرمان ، والدكتور هانس هيكمان : أعضاء ، والمسيو سالتيل سكرتيراً

دار الثقافة فى السودان

من بين المهتمين بإيجاد دار تجمع المثقفين من المصريين والبريطانيين والسودانيين لتبادل الرأى وتوثيق التعارف ، المستر ولسن مساعد السكرتير الإدارى بالخرطوم . وقد ذكر أن ثلاث شخصيات كان لها الفضل فى اقتراح هذا المشروع وتأييده هم المستر كوكسن مدير المعارف والمستر نيوبولد والمستر كنجز . وقال إن بعض الناس يطلقون عليها اسم نادى القلم ، وهذا خطأ إذ أن الاسم المراد إطلاقه عليها هو دار الثقافة

وسيباح الاشتراك فى هذه الدار لجميع الأجناس . وستزود بالكتب الإنجليزية والعربية ، وستلقى فيها محاضرات فى شئون تهم الوطنيين والبريطانيين وتهم السودان بصفة عامة

عودة البعثة الألمانية من القطب الشمالى

وصلت البعثة الألمانية العائدة من القطب الجنوبى إلى كوكسهافن على الباخرة شوابنلند وقد حصلت على نتائج مهمة . وكان المارشال جورنج قد أمر بتأليفها ضمن استكشاف منطقة تمتد إلى شرق خط جرينتش وغربيه فى القارة المتجمدة الجنوبية . وقد بلغت الباخرة شوابنلند تلك الأصقاع فى يناير الماضى وبدأت البعثة أعمالها فى الحال

وقامت برحلتين جويتين وضعت بهما الخرائط لإقليم لم يستكشف بعد وتبلغ مساحته ٣٥٠ ألف كيلو متر مربع ، ويبلغ مجموع مساحة الأراضى التى استكشفت من قبل ٦٠٠ ألف كيلومتر مربع . ويتألف الإقليم الذى استكشف من بقعة واحدة يحدها من الشرق نجد من الجليد يرتفع فجأة ويمتد فى اتجاه القطب ويحتوى على سور من الصخور يختلف ارتفاعاً وهبوطاً إلى أن يتصل بالقطب . وقد جاءت الخرائط التى وضعت لكل ذلك فريدة فى بابها

ونزلت البعثة فى أثناء طيرانها على حواجز من الجليد ورفعت العلم الألمانى على كثير من القمم وجعلت تلقى كلما اجتازت ١٥ كيلو علماً من أعلام الصليب المعقوف . ثم إن البعثة استكشفت الحاجز الجليدى حتى الدرجة ١٨٫٣٠ شرقاً وجابت الشاطئ حتى الدرجة

٢٠ شرقاً . وفى ٦ فبراير شرعت السفينة فى العودة لأن سوء الطقس وحالة الجليد كانت تنطوى على أخطار كبيرة . وأثبتت الطائرات المائية جودتها الفائقة فى استخدامها فى تلك الأصقاع . وتبلغ أقصى نقطة جنوبية وصلت إليها البعثة الدرجة ٧٢ والدقيقة ٤٤ جنوباً والدرجة الصفر من خط الطول . أما أقصى نقطة غربيـة فهى الدرجة ٧١ والدقيقة ٣٣ جنوباً والدرجة ٤ والدقيقة ٥ غرباً . وبلغت أقصى نقطة شرقية الدرجة ٢٢ والدقيقة ١٠ جنوباً والدرجة ١٦ والدقيقة ٣٠ شرقاً . ووضعت الأعلام الألمانية على هذه الدرجات لتعيينها . وقامت البعثة إلى جانب كل ذلك بجس بالراديو فى ١١٩ موضعاً ، وكان ٣١ موضعاً منها على علو يزيد على ٢٠ ألف متر . وقام الأستاذ باركلى العالم البسيولوجى بأبحاث تتعلق باحتمالات صيد الحيتان وأجرى تجارب بالشباك ودرس حياة الحوت

الأدب المصرى فى نظر المستشرقين

سبق للرسالة أن أشارت إلى أن الأستاذ المستشرق الكبير بروكلمن ينشر الآن الجزء الثالث والأخير من تكملة كتابه « تاريخ الآداب العربية » والذى فيه يتناول مظاهر الأدب المصرى شعراً ونثراً . هذا إلى جانب المحاضرة التى ألقاها فى مؤتمر المستشرقين المنعقد فى بروكسل فى السنة الماضية والذى عرضت له الرسالة فى حينه . وقد لفت الأستاذ بروكلمن فى محاضرته هذه ، أنظار المستشرقين إلى ضروزة نقد كتب الأدب العربى الحديث . وقد ظهرت بوادر ذلك فى عدد فبراير سنة ١٩٣٩ من مجلة الشرقيات (Olz) وهى أهم مجلة ألمانية موقوفة على النقد فى دوائر الاستشراق حيث نشر المستشرق المعروف هاج Haog ببرلين نقداً لمسرحية الدكتور بشر فارس « مفرق الطريق » . بدأ المستشرق نقده بذكر مؤلفات الدكتور بشر فارس فى الأدب والعلم وأشار إلى مكانتها ، ثم تطرق إلى المسرحية فبين الفكرة البعيدة المرمى التى تدور عليها المسرحية من الناحية الفلسفية ، ووصف الطريقة الرمزية فى التعبير عن العواطف والحركات على المسرح ، فقال إن الحوار فى المسرحية بين النطق والإشارة مما يتطلب من المخرج مقدرة ويترك له مجال الافتنان . أما لغة المسرحية فيراها الناقد منتقاة . وقد يتفق للقارئ أن يقف أحياناً لتفهم تعبير جديد فى الأدب العربى . وهنا يرى المستشرق هاج أن النقاد عندنا أثبتوا قدر هذه المسرحية على اختلاف مناحيهم : فذكر أنها نالت من الناحية الأدبية تقدير الدكتور زكى محمد حسن (أهرام ٢٥ ابريل سنة ١٩٣٨) ومن الناحية الفنية اعتراف الأستاذ زكى طليمات بأنها حدث جديد (الرسالة عدد ٢٥٠ فى ١٨ ابريل سنة ١٩٣٨) ثم ذكر رأى الناقد ميخائيل نعيمة بأنها كزى جديد فى الأدب العربي (الرسالة عدد ٢٥١ فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٣٨) ثم عقب المستشرق هاج بأن هذه المسرحية تمهد طريق الاستحداث الأدبي فى العالم العربى كما وقع ذلك فى الأدب التركى . ثم يختم المستشرق بهـذا السؤال : هل يقدر للمؤلف أن يصل إلى الغاية التى يقصد إليها ؟ فجاء جوابه أن هذه المسرحية إن لم يتفق لها أن تحقق الغاية فى المستقبل فإنها قوبلت بارتياح عظيم . وزاد على ذلك أن المؤلف لا يشك فى أنه قد حان الزمن الذى فيه أصبح الإيجاز والإيماء فى الإنشاء الرفيع أحب إلى القارئ العربي المهذب من التطويل والتذييل

م.ك



من بواكير الشباب

قصص وشعر

للأديب محمد فهمى عبد اللطيف

فى شبابنا يقظة أدبية وثابة، ولهفة على التأليف فى الأدب خصوصاً فى القصص والشعر، وما من يوم يمضى دون أن يحمل إلىّ البريد قصة أو ديواناً يطلب منى صاحبه أن أقدمه للقراء! ومهما يقل بعض الناس فى شأن هذه اللهفة، فإنها لا شك بشرى طيبة لعلها تصل بأصحابها إلى نهضة أدبية قوية متى وجدت المدد والبخور والعطف والتشجيع

وهذه باقة من نتاج الشباب فى القصص والشعر نضعها بين يدى القراء الكرام، وإن فيها من طيب الشذى ما ينعش النفس ويغمر الإحساس والشعور، وهل الشباب إلا إحساس وشعور!

فى سبيل الخلافة

قصة تاريخية مسرحية، وضعها الأديبان: ابرهيم حسن جعفر وعبد الغفار الجنبيهى، وموضوع القصة موضوع تاريخى يتصل بالصدر الأول للاسلام. ذلك العصر العظيم بأبطاله، الزاهى بتراثه، الفخور برجاله، والقصة جميلة فى تسلسل حوارها، وانسجام أسلوبها، وتحرى الصواب فى سرد حوادثها، فغاية الفن فيها التهذيب والتزويق، لا الكذب والتزوير، فأنت إذ تراها قصة أدبية قوامها الحوار والتمثيل، فأنت تجدها فى الوقت نفسه قطعة رائعة من التاريخ لها كل مميزات الكتابة التاريخية، وإنها لتبشر بمستقبل لمؤلفيها فى الأدب، وتدل على استعداد للقصة

قبل الانتحار

وهذه قصة بقلم الأديب خليل منصور الرحيمى، وقد قدمها إلى القراء الأستاذ الكبير ابرهيم عبد القادر المازنى وقال فى تقديمها: هذه قصة منتزعة من صميم الحياة، فلا تقليد ولا محاكاة ولا تمصير ولا شىء إلا صورة نفس مصرية على قدر ما وسع صاحبها أن يتقصى جوانبها، ويغوص فى أعماقها، ويلم بألوانها، ولقد أجاد بحق، وليس فيه من العيوب إلا ما لابد منه ولا معدى عنه فى سن الشباب، والزمن والتجربة علاج كاف مضمون!

والقصة فى موضوعها هى قصة المؤلف فى الحياة، وما لاقاه فيها من حوادث، وما أثر على نفسه من مؤثرات. والناس جميعاً متشابهون فيما يقاسون من صروف الدهر، وعنت الأيام، ولكن القليل فيهم هو الذى ينتفع بالتجربة، ويتدبر العواقب، ويستخلص النهج الذى يجب أن يسلكه هو وأمثاله. والأديب حينما يقدم لك صورة من نفسه، فإنه فى الواقع يقدم لك صورة من الحياة، ولكن بعد أن يقربها لعقلك وإدراكك، ومن ثم تكون اللذة والإفادة. فلعل الذين يطالعون هذه القصة يجدون فيها كما وجدت صورة رائعة تمثل فى حياة نفس مصرية

فى غرفة التحقيق

وهذه قصة كسابقتها، هى صورة من حياة مؤلفها الأديب محمود محمد علوان، ولكنها حافلة بتعدد الشخصيات وكثرة المناظر؛ وكأنى بها قطعة سادقة من الحياة الواقعية، أراد صاحبها أن يتحرى فيها الصدق والإخلاص فبلغ غايته ووفق إلى ما أراد

صدر القصة سرد لتاريخ المؤلف وصلته بالحياة وبالناس وهو فى كنف والده أيام الدراسة، وهى إلى هذا الحد قصة عادية أشباهها

في الحياة كثير . ولكن المؤلف بعد ذلك يقص حياته في العمل بسكرتارية التحقيقات بنيابة دمنهور ، وهو في هذه المرحلة لا يحفل بشخصه ، ولكنه يهتم بتصوير ما يصادفه من الحوادث العجيبة ، والشخصيات الغريبة ، والوقائع التي تبكي وتضحك مما يتصل بأعمال النيابة في الضبط والمعاينة والتحقيق ، ولا شك أن المؤلف قد تأثر كثيراً بالأستاذ الحكيم في يوميات نائب في الأرياف وإن كان بينهما البون الشاسع في سرد الوقائع ، وترتيب الحوادث ، والوضع الفني للقصة

وأسلوب الكاتب أسلوب سهل قريب إلى النفس ، يدل على طبع موهوب وإن كان لا يخلو من هفوات لا يسلم منها الناشئ

القصتان

وهما قصتان من صميم الحياة المصرية، إحداهما بعنوان « ثورة » والأخرى بعنوان « الرضيع » وضعهما مؤلفهما الأديب عبد الحفيظ أبو السعود دعاية للفضيلة ، وانتصاراً للأخلاق الكريمة التي عصفت بها روح العصر ، وطغت عليها مدنية زائفة كلها الأذى والشر والتبذل والفساد لنفوس الشباب ، وقلب الأوضاع الثابتة ، والتقاليد المرعية

والمؤلف الفاضل بارع في السرد القصصي ، وحبك الوقائع حتى ليسير بالقارئ في تسلسل وانسجام ، فلا نبو ولا شذوذ ولا اقتضاب ، ولكنها طبيعة الحياة ، واطراد الحوادث . وأسلوبه قوي سليم ، ولكن يكثر فيه الترادف والتعابير الضخمة التي لا تلائم روح القصة . إن من الواجب على الكاتب أن يجيد الربط بين المعنى وبين لبوسه من الألفاظ والتعابير ، وأن يكون أسلوبه ملائماً لمواقع الكلام . وتلك ناحية يستطيع المؤلف أن يتخلص منها في يسر وسهولة ، حتى يتم له الاتصال بنفس القارئ في يسر وسهولة .

نجوى المنى

جملة طيبة من المقطوعات الشعرية ، نظمها الأديب الشاعر عبد الله حسين رزق في موضوعات تتصل بنفسه ، فهي آلام وآمال وعواطف وأحاسيس اعتلجت في نفس الشاعر فجلاها للناس في أسلوب مشرق صادق ، وترجم عنها بالأداء أحسن ترجمة . وإذا كان ما يخرج من القلب يصل إلى القلب كما يقول الجاحظ فلا شك أن الشاعر الأديب قد استطاع أن يصل إلى قلب قارئه .

أما الملكة الشعرية والأداة الشعرية فأنهما كما يقول الأستاذ خليل شيبوب في مقدمة الديوان — قد استقامتا للناظم ، وليس عليه إلا أن يتعهدهما حتى يستكملهما ، وما كثير من المعاني التي يتلمسها ، ويمر بها دون أن يستوفيها إلا ومضات ذهنية لا تزال تموج بها ميعة الصبا ، ولعلها تنجلي عن شمس الضحى في النهار المشرق .

ألحان الفجر

وتلك مقطوعات أخرى نظم عقدها الشاعر محمد المصري محمود ، وهي قطع من عواطف المؤلف في الوطنية ، وشعوره نحو الجمال ، وتقديره للعاملين من أبناء الوطن في السياسة والعلم والأدب .

وألحان الفجر باكورة تدل على استعداد صاحبها للشعر ، وتنبئ عن ملكة لابد لها من المران والتدريب حتى تنمو وتنضج . وإنك لتطالع فيه كثيراً من الأبيات المفردة ، والمقطوعات التي تفيض بالعاطفة القوية ، والإحساس الشريف .

شرح منهج التعليم الالزامي

ذلك هو جهاد الجندي المجهول يؤديه لأمته ووطنه لا يرجو عليه جزاءاً من أحد إلا أداء مهمته وإشباع رغبته واطمئنان نفسه وضميره

والجندي المجهول في مصر هو ذلك المعلم الإلزامي القابع في صميم الريف يهذب النفوس ويهيئ العقول ويشحذ المواهب في النشء ويعدهم لفهم الحياة ومزاولة العيش . والمعلم الإلزامي لا شك يجد كثيراً من الصعوبة والمشقة في تقويم أطفال كزغب القطا حمر الحواصل. ولقد يعييه اختيار الطريقة اللائمة لإدراكهم في الشرح وربما يتنكب القصد. ولقد فزع الأديب عبد المؤمن محمد النقاش في جماعة من إخوانه الذين يزاولون التعليم في المدارس الإلزامية لتسهيل ذلك العمل لأبناء طائفته فقاموا بشرح منهج التعليم الإلزامي لجميع الفرق في الأخلاق والدين والتربية الوطنية والمحادثة والإنشاء والإملاء والمحفوظات والصحة والتعليم المنزلي والأشياء والتاريخ والجغرافيا على ما هو مقرر في تلك المدارس

وقد زينوا الشرح بالخرائط والرسوم لتبسيط الفكرة وتوضيح الرأي، وزادهم تمكناً في الشرح مزاولتهم التدريس في تلك المدارس، فجاء عملهم كاملاً يقوم على العلم والعمل، نافعاً ينير الطريق لإخوانهم ويسد نقصاً هداهم الله إلى تمامه ووفقهم إلى كماله . م . ف . ع